

لماذا نحن- في مجلة الإتحاف- مع بن علي؟

بقلم: عبد القادر الهاني

مدير مجلة الإتحاف

رئيس فرع إتحاد الكتاب التونسيين بسلطنة

(1)

سؤال على غاية من الواجهة، لا شك أن الغالبية العظمى من التونسيين والتونسيات قد خطر هذا السؤال على بالهم والبديع في المسألة أن الجميع يجيبون إجابات مختلفة وفي ذلك دلالات لا حصر لها وكلها تصب في مصب واحد ألا وهو "من أجل تونس حاضرا ومستقبلا".

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والجميل في المسألة أن مصلحة تونس في سلوك بن علي وإنجازاته تشمل كل الشرائح وجميع الفئات في مختلف الموضوعات وتنوع القطاعات، فهي لا تترك شاردة ولا واردة إلا وقد أعطتها ما تستحق من العناية أولا ومن الرعاية ثانيا.

لنأخذ القطاع الثقافي الذي نحن في مجلة الإتحاف ننتمي له فسنرى أن الذي تم في شأنه منذ التحول يتجاوز كل المقدرات ويفوت كل الطموحات، وألما إنجازات تنبع من تصوّر واضح

وتنطلق من رؤية ثابتة تستند إلى أن الثقافة سند للتغيير وبذلك بطل النظر إليها باعتبارها أمراً ثانوياً أو كما يقال عجلة خامسة. هكذا أخذت الثقافة مكانتها ضمن القطاعات الأساسية في مسيرة التنمية الشاملة تتحرك جنباً إلى جنب مع القطاعين الاقتصادي والاجتماعي.

أما ما تحقق من إنجازات في مختلف مجالاتها فذاك ما يحتاج أن نخصص له أكثر من حلقة. لكن لا يفوتنا أن نشير إلى حقيقة بالغة الأهمية وهي أن ما تحقق هو بالتأكيد يستند إلى خطة محكمة وطريقة في التعامل مع القضايا الجوهرية مثلى، ونعني بذلك الاستناد إلى مبدأ الاستشارة العامة فكم من استشارة وطنية تمت في قضايا الثقافة: حول الكتاب والمسرح والسينما إلخ.... وهو ما سنفصل القول فيه في حلقة قادمة. على أن نختم حلقة اليوم بالقول: إن التصويت لبن علي ينبع من نظرة جديدة لمصلحة تونس مثلما أنه يستند إلى مبدأ أخلاقي مؤداه: أن الاعتراف بالجميل لذوي الفعل الجميل هو من شيم النفوس الأبية والأخلاق الزكية.

(2)

في هذه الحلقة نتناول المسألة الثقافية على المستوى الجهوي والمحلي فهو الميدان الذي نعيشه صباح مساء ونذكر جيداً أهميته

ونؤمن بكثير من الدقة نتائجه. فمن هذا المنطلق نذكر بتبني العهد الجديد جملة من الأهداف في الحقل الثقافي والشبابي والترفيهي تهدف جميعها إلى تطوير أنشطة هذه القطاعات ومردوديتها، وشمول ذلك كله المدن والقرى والتجمعات الريفية. بما أزال الحدود الصارمة التي كانت تفصل بين هذه المواقع، وأعطائها كلها اهتماما واضحا ورعاية كاملة شملت تعزيز النشاط وتنويعه والتشجيع على الخلق والإبداع من خلال التظاهرات الثقافية الباعثة على المشاركة والتحارب أخذا وعطاء.

إننا نلمس هذا كله من خلال تعميم المهرجانات وحضورها في كل المدن وكل القرى وكل التجمعات الريفية. مثلما نستبين ذلك من خلال مجلة الإتحاف الثقافية الجامعة التي وإن هي ظهرت للوجود قبيل التحول المبارك إلا أنها لم تشهد انطلاقها الحقيقية إلا في عهد التغيير وها هي اليوم تستعد للاحتفال باليوبيل الفضي لها خلال شهر فيفري من سنة 2010.

إن تواصل صدور مجلة جهوية وترقيتها لتصبح في وقت قصير مشروعا ثقافيا وطنيا بل ونجاحها في تخطي الصعاب لتصبح مقروءة خارج الحدود وتستقطب الأقلام من خارج الحدود، كل ذلك يعتبر

علامة مضيئة في الحياة الثقافية الوطنية التي رعاها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي منذ أن أعلن بعد بضع أيام من التحول وبصوت يعلو كل صوت: لا لتهميش الثقافة ولا لتقافة التهميش. وإنما في مجلة الإتحاف لنشعر بالسعادة العظمى تملأ كياننا فيما تمثله الإتحاف من ثمرة يانعة من ثمار الحياة الثقافية الحكيمة للعهد الجديد في تونس الأناضول البلد الأمين.

(3)

في الميدان الاجتماعي:

كلنا يعلم أن سيادة الرئيس زين العابدين بن علي قام بزيارة فحشية إلى منطقتي الزواكرة والرامة من ولاية سليانة يوم الرابع من ديسمبر 1992 تلك الزيارة التي انبثق عنها المشروع الريادي التضامني الذي واجهت به تونس مشكل الفقر وعالجته كل مظاهر الحرمان وجعلت من التضامن قيمة وطنية آمن بها الجميع أفرادا وجماعات وباشرها الجميع بالحماس البين والأريحية الظاهرة فكان النجاح الباهر الذي حقق نقلة نوعية في ميادين البنية الأساسية وقطاع السكن اللائق والتزويد بماء الشرب وتعبيد الطرقات وتهيئة المسالك الترابية وبعث مراكز للصحة الأساسية وصيانة مدارس ابتدائية.

ففي ميدان تحسين الظروف السكنية تم تعويض الأكواخ بمساكن لائقة وفي خصوص موارد الرزق فقد شمل الآلاف من المواطنين والمواطنات من بعد مشاريع تتصل بقطاعات الصناعة التقليدية والمهن الصغرى بما ساعد إلى حد بعيد على الرفع من دخل العائلات وفي جهود التشغيل.

لا شك أن التدخل في كل هاتيك الميادين والقطاعات وصرف ملايين الدينارات ترتبت عليه نتائج طيبة وآثارا بارزة في الأرض وفي العقول، وساهمت مساهمة فعالة في تحسين مؤشرات التنمية الجهوية بما مكن من تحول مناطق الظل إلى مناطق نور وأنصهرت المسار في التنموي للبلاد.

لندع تقييم كل الإنجازات التي مرّ ذكرها إلى أهل الذكر من محاسبين ومختصين في التقييم والتقويم فإن اختفاء ظاهرتين كانتا سائدتين وتبعثان في النفس القلق والكدر وأعني بهما مظهر قوافل من الراحلين والراكبين تنقل ماء الشرب من أمكنة بعيدة ومظهر انتشار الأكواخ التي تعترضك حيثما تنقلت. هذان الظاهرتان اختفتا نهائيا مما بدل القلق ارتياحا والكدر فرحا وسرورا.

وإنّ اختفاءهما من حياة ريفنا الجميل يعد إنجازا حضاريا

مباركا أنجزه لتونس الخضراء التحول المجيد المبارك.

موعد الوفاء

بقلم: البشير الأخضر

عندما طلب مني مؤسس مجلة الإتحاف وعميدها الأستاذ عبد القادر الهاني صياغة موضوع لعدد شهر أكتوبر موحيا بلطفه المعهود أن ينصهر هذا الموضوع في ما نعيشه البلاد من أحداث هامة في غمرة الاستعداد لموعد الانتخابات الرئاسية والتشريعية تراحم في ذهني أفكار وتدافعت حول ما يمكن أن أكتب في كلمة موجزة وان أصوغ في كلمات معدودات مسيرة رائدة لا تقبل انجازاتها الحصر ولا العدم، وأن أصوغ طموحات وتطلعات اعلم علم اليقين أن قائد هذه المسيرة بصدد وضعها معتمدا على ما يميزه من قدرة فائقة على الاستشراف وما اجاءت اليه الاستشارات العديدة التي أذن بها من أفكار واقتراحات في مختلف المجالات.

اخترت في النهاية أن أنحاز إلى قطاع الثقافة لأن الحديث عن القطاعات الأخرى يتطلب مساحة تفوق كل صفحات مجلة الإتحاف وان ضاعفوها، ذلك أن قطاع الثقافة قد ناله من الحظّ ما جعله يتخلص بوضوح من تبعات ما لفّه من ضعف العناية والاهتمام قبل التغيير، فحاءت القرارات والإجراءات الجريئة والرائدة انطلاقا من الإيمان والقناعة بأن الثقافة مكوّن أساسي من مكوّنات التقدّم وعنصر فاعل من عناصر قوة الشعوب. وكان لهذا التوجه أثره البالغ على خلق حراك ثقافي ملموس بفضل توفير

الخوافز والتشجيعات التي وفرت الأرضية الملائمة لدفع الإنتاج الثقافي في مجال الكتابة والنشر، وفي ميادين المسرح والسينما والفنون الجميلة والموسيقى، وفي العناية بالحضارة والآثار.

لقد شهدت سنوات التغيير جملة من الإجراءات الرائدة انطلقت بالترفيح في ميزانية الثقافة إلى 1% من ميزانية الدولة في مرحلة أولى ثم التدرج بها لتبلغ 1.5% في ميزانية 2009 وتخصيص 50% من هذه الزيادة لتمويل المشاريع الثقافية في الجهات ودعم المركبات الثقافية والشبابية بها واعتماد برنامج متكامل للعناية بالمناطق الأثرية والمعالم التاريخية، كل ذلك إلى جانب ما أقر من تشريعات قائمة على تشجيع الإنتاج والاستثمار في الصناعة الثقافية وحماية حقوق التأليف والنشر وتعزيز العناية بالمتقنين والمبدعين والاهتمام بظروف نشاطهم وتمتعهم بالتغطية الاجتماعية. وينضاف إلى كل هذا بناء مدينة الثقافة ودعم المهرجانات والحضور الثقافي لتونس في مختلف التظاهرات العالمية ودور تونس في إرساء مبدأ الحوار بين الحضارات والأديان ونشر قيم التسامح والاعتدال.

لكل هذا ولكل ما لم تسمح المساحة بذكره سيكون المثقفون ومن بينهم أسرة مجلة الإتحاف على موعد مع التاريخ يوم 25 أكتوبر 2009 لتأكيد معاني وفائهم وتمسكهم بصانع هذه الملحمة سيادة الرئيس زين العابدين بن علي ليواصل قيادة تونس العزيزة نحو المزيد من النجاحات على درب التقدم والعزة والمناعة.

قراءة في "كليلة ودمنة"

بقلم: د. بسام الشارني

نبر/الكاف

I - ملامح الجنس الأدبي في كليلة ودمنة:

ليس لكلمة أدب في العربية معنى واحد دقيق وكثيرا ما اقترن مدلول الكلمة بالمعطى الخلفي واتجه عند ابن المقفع أساسا نحو وجهة محدّدة: إنّ الأدب هو كلّ ما يساعد الإنسان على تهذيب الخلق وتركبة النفس. وإنّ تنزيل أثر كليلة ودمنة في الأدب الثري لا يكفي - في نظرنا - لتمييزه عن غيره من الآثار الثرية ولذلك وجب البحث في ما به يتميز عن غيره. على أنّ الثابت لدينا علامة فارقة في تاريخ الآداب العربية، وأنه أحدث بدعة - بالمعنى الفني المرادف للإبداع، والمعنى الزمني المقترن بالجدّة والسبق - في تاريخ الآداب فأصبح يحاكي وينسج على منواله إذ هو ينتمي إلى جنس أدب لم يكن معروفا عند العرب فتميّز عن غيره وأحدث تقليدا جديدا في ضروب الكتابة الأدبية الثرية لأننا نلج مع كليلة ودمنة المنشور والمكتوب بعد أن كان الشّفوي سائدا.

ولقد لعبت عوامل عديدة لإنتاج الأثر، فمن ناحية أسهم القصص القرآني الثري بأخبار الأنبياء والملوك في لفت الانتباه إلى القصص

الوعظي. كما أسهم القصص الموجود في الكتاب المقدس في الانتباه إلى ما يقصد منه الاعتبار. وأسهمت بداية حركة القصص في تنمية هذا الفن عبر نوعين من القصص: القصص الديني، والقصص الخرافي. كل هذه العوامل أسهمت في إنتاج مائة قصصية نثرية، كما ظهرت الرسائل وخاصة الوعظية التي حلت محل الخطب في عهد عمرو بن عبد العزيز خاصة والتي لم تكن تخلو من القصص الوعظي.

وليس من شك في أن قيمة الكتاب تكمن أساساً في محتواه القيم والثري باعتبار ما يزرع به من مختلف المضامين الفكرية، وما أثاره كاتبه من متشعب القضايا وما حاض فيه من المجالات الحيوية التي كانت شديدة الصلة بملاسات بيئتها وطبيعة محيطها ونوعية المناخ العام الذي اكتنفها.

وبأني المضمون السياسي في صدارة الاهتمامات، على أنه - وإن احتل نصيب الأسد منها - اقترن بمضامين أخرى جاءت مبنوثة بين الأبواب المختلفة وتتم عن تفكير ابن المقفع في المجتمع والأخلاق والميتافيزيقا⁽¹⁾.

وقد ارتبطت سمه البدعة في هذا الأثر بطبيعة الجنس الأدبي الذي ابتدعته ونعني به ما يسمى بالأدب الملوك والأمراء Les miroirs des princes وهي من جنس المؤلفات التي تمثل في تاريخ الأدب

العربي جنساً أدبياً متميّزاً يأخذ من النصائح الخلقية ما يأخذ، وهذه النصائح الخلقية ينصح الملوك، والملوك أولاً.

فطرافة هذا الجنس الأدبي تقوم أساساً على علاقة ثنائية قوامها: ناصح ومنصوح. فأما الناصح فأديب مفكر وكاتب ديواني وأما المنصوح فملك سلطان، وما بينهما نصائح خلقية هي التي جعلت الأثر أدخل في جنس مرايا الأمراء والملوك من باب ما يمكن وسمه بـ **الأدب الخلقى**.

فمرايا الملوك إذن، جنس أدبي ينتمي إلى ما يسمى بالأدب الخلقى وهو في تراث العرب باب من أبواب التأليف في الأخلاق. وقد كان التأليف في الأخلاق - كما هو معلوم - على اتجاهين: تأليف ولد ما يسمى بالأدب الخلقى الذي نشأت عنه مرايا الملوك، وتأليف آخر نشأ عنه ما يسمى بالفكر الخلقى وهو جملة المباحث الخلقية ذات الطابع الفلسفى التأملى.

والأدب الخلقى ليس واحداً وإنما نونه متعددة فمنها الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، والسعادة والإسعاد للعامري، والحكمة الخالدة لمسكويه.. والغالب على هذا الفن الذي يسمى بالأدب الخلقى سمة البيان والبلاغة، سمة الأدب.

أما مؤلفات الفكر الخلقى التي تولدت عن التأليف في الأخلاق، فمنها كتاب تطهير الأخلاق لمسكويه، ومنها ميزان العمل للغزالي.

وميزة هذه المؤلفات الخلقية غلبة الطابع الفلسفي اليوناني وتأثير كتاب أرسطو "الأخلاق التيقوماخية" فيها. أما الأدب الخلفي الذي نشأت عنه مرايا الملوك فيبقى فناً أدبياً يخوض في الأخلاق وعمدته البيان والبلاغة أي أن الطابع الأدبي + هو ميزته الأساسية، والبنية الأدبية ميسمه الغالب بما فيها من قصص تمثيلي واستشهاد بالأشعار والقرآن.

1- مرايا الملوك/ نصائح الملوك:

يجدر بنا التمييز بين مرايا الأمراء، ونصائح الملوك، ذلك أن مرايا الملوك وإن كانت في جوهرها نصائح خلقية موجهة أساساً إلى الملوك فإنها ليست مماثلة لما يعرف بكتب نصائح الملوك. فرسالة الصحابة لابن المقفع مثلاً هي من باب نصائح الملوك وليست من مرايا الملوك. وهي رسالة كان ابن المقفع قد وضعها للمنصور الخليفة العباسي الثاني ودعاه فيها ناصحاً إلى إصلاح القضاء في الدولة العباسية، وإلى إصلاح الجيش والخراج، دون أن يترع في ذلك مترعاً أدبياً أو بيانياً أو بلاغياً، وإنما نصائح يرسلها الكاتب إرسالاً، وسمتها الجوهريّة اللّهجة الخطائية المباشرة وتوحي صيغ التوجيه الإلزامي Modalité injonctive من قبيل: عليك أن...، ويجب...، وينبغي أن...، دون اعتماد التمثيل ودون اعتناء بصياغة النص، فلغته خالية من كل صنعة.

أما مرايا الملوك فهي نصائح حلقية تنشأ إنشاءً أدبياً وتصاغ صياغةً بلاغيةً وتبنى بناءً فنياً ذلك أن الناصح في أدب مرايا الملوك راغب في التقرب من الملك وإصابة الخطوة عنده والمزلة الرفيعة والمال⁽²⁾ من خلال المحافظة على استقرار السلطة والسلطان لأنه بذلك يحافظ على ما له من منزلة ومكانة، فه النصائح الحلقية إنما هي وسيلة للمحافظة على المكانة والسلطة من جهة، وتدعيم السلطة والسلطان من جهة أخرى.

ففي مرايا الملوك يريد الناصح أن يعلم السلطان طرائق الحكم، وأنواع السياسات، وتقاليده تدير الملك حتى يحافظ السلطان على سلطته. فالناصر في مرايا الملوك يتول منزلة السلطان، فيسلم له بسلطته، ويدعم هذه السلطة، ولا يثير مخاوفه ولا شكوكه حتى لا يثير سخطه عليه وعنفه نحوه. إن الناصح في أدب مرايا الملوك لا يسأل عن شرعية السلطان والسلطة بل يسلم بها تسليماً وينصح السلطان حتى تثبت سلطته ويستقيم سلطانه⁽³⁾.

ففي أدب الملوك يبدو واجب الرعاية والناصر إنما الخضوع لسلطة السلطان لأن الأمور في طبيعتها جارية على هذا المنوال: فمن طبيعة الملك أن يحكم إذا الحكم والسلطان جبلة فيه، وسعادة الملك في أن يبرز ما في جبلة، وفي ممارسة ما في طبعه أي ممارسة سلطته. ولما كانت السلطة جبلة في السلطان فإن الناصح لا يتساءل عنها لأنها

أمر طبيعي.

والتأصح في مرايا الملوك إنما هو المثقف والكاتب الديواني الذي نشأ في دواوين الملك وفي تنظيمات الدولة، فهو "مثقف حكومي" وليد هذه التنظيمات الديوانية، أنشأته وثقافته فنشأ بحسب تلك الثقافة الديوانية لا يتمرّد عليها ولا يثور ضدها، بل يخدمها ويدعمها بما ينصح به وليّ الأمر مستفيداً، في كلّ ذلك، تحصيل المال والجاه، مفيداً في استقرار السلطان والسلطة. ودمنة قتل لآته أفرط ولم يلتزم حدّاً كان يحسن به أن يقف عنده، فقد أراد أن يستبدّ بالمرلة كلّ المرلة، فأراد أن يكون هو الحاشية والصحابة دون غيره، وغاب عنه أن صحابة السلطان وحاشيته ودواوينه كثيرة بالضرورة ولا يمكن أن يقوم بها واحد وحيد. لقد مات دمنة لأنه أراد أن يشارك الأسد في صفة يتفرد بها: صفة التوحّد بالمرلة، وهي صفة السلطان فقط لا صفة حاشيته.

إنّ الوقوف عند طبيعة التأصح هو الذي يرسم لنا حدود الظاهرة الأدبية الفتيّة في أدب مرايا الملوك ففيها يتحدّد الفنّ وفقاً لهذه النظرة ووفقاً لهذا التحليل.

2- خصوصية الجنس محدّدة لمراسم الكتابة:

لقد تحدّدت مراسم الكتابة في كليلة ودمنة انطلاقاً من طبيعة الجنس الأدبي الذي ضبط نوعيّة العلاقة القائمة بين الطرفين: مثقف ديواني

ينصح صاحب السلطة ليحافظ على ما له من مال ومثلة من جهة، وليحافظ على سلطة السلطان من جهة ثانية، وهي -في النهاية- صورة موروثة عن المثقف الساساني في دولة الفرس.

وقد اتسمت الكتابة وفقا له الظاهرة بميزات ثلاث جوهرية بدت من أبرز الملامح المحددة لمراسم الكتابة لاقتراحها الوثيق بخصوصية الجنس الأدبي لهذا الأثر هي: تعدد الأبواب، الترميز والتمثيل، التضمن والتوليد.

أ/تعدد الأبواب:

كانت الميزة الأولى لهذا الأدب أنه لا يبنى إلا في صورة أبواب متعددة. وهذا التعدد في الأبواب إنما هو حيلة فنية لمعالجة التصانح المتعددة الموجهة إلى السلطان. وتتعلق أهم هذه التصانح الخلقية التي تبنى عليها الأبواب بالعدل، والتعاون، والحزم في الأمور، والعمل بمقتضى العقل لا الهوى... وبسواها من هذه التصانح التي تكون الغاية منها دائما تدعيم السلطة والسلطان. وهو منوال يسري على كل كتب مرايا الملوك.

ب/الترميز والتمثيل:

لما كان النصيح في مرايا الملوك كاتباً ديوانياً يخاطب ملكاً يسلم له بالسلطة كلّ السلطة، ويسلم بأن هذه السلطة جبلة فيه، كانت الميزة الثانية لهذا الأدب أن هذه التصانح لا تقدم إلا رمزية مثلية

إقراراً بمزلة التي هي دون مزلة السلطان. فليست الطريقة التمثيلية الرمزية إلا إبقاء بما يحسن به الكاتب من تدني مزلة أمام مزلة السلطان فلا يخاطبه مخاطبة مباشرة إذ هو يتره من أن ينصح نصيحة مباشرة فحة، وفي ذلك إقرار بسمو هذه المزلة.

فالأمثال⁽⁴⁾ في كليلة ودمنة وفي كل مرايا الملوك ليست إلا ضرباً من الالتماس. ومعنى هذا أن الناصح بموّه على النصائح التوجيهية المباشرة بألوان من الالتماس المحبب الذي تنزيهاً النصيحة - بمقتضاه - بالأمثال ويتسرّب لخطابها بالرمز، فإذا النصيحة في النهاية تلتمس التماساً ولا يقع الأمر بها إلزاماً⁽⁵⁾ مما هو أدخل في باب التقية. وهو ما تؤيده إشارة عارضة وردت على لسان الغراب يخاطب ملك الغربان ويصف وزير ملك اليوم: "أنه لم يكن بكنتم صاحبه نصيحته وإن استقلها. ولم يكن كلامه كلام عنف وقسوة، ولكنه كلام رفيق ولين، حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه، ولا يصرّح بحقيقة الحال، بل يضرب له الأمثال، ويحدّثه بعيب غيره فيعرف عيبه، فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلاً"⁽⁶⁾.

ج/التضمين والتوليد:

وتتولّد عن الميزة الثانية ميزة ثالثة تحدّد بنية الخطاب ومسار الحديث في كليلة ودمنة هي ميزة التضمين Enchâssement والتوليد Engendrement. فالنصائح، وهي تنزيهاً بالأمثال وترتدي حلل الرمز،

لا تني يتولد بعضها عن بعض، وعن تولدها تنشأ الأمثال وتتوزع على صنفين: صنف الحكايات الأطر وصنف الحكايات الفرعية. ولا شك في أن الغاية الجوهرية من ظاهرة التضمين والتوليد هذه هي فتح مسالك ومنافذ أمامك التصانح الفرعية التي لا تخصص لها أبواب مستقلة. ووظيفتها أن تجعل كتاب كليل ودمنة منفحة قابلا للإضافات⁽⁷⁾

II/ المقومات الأدبية في كليلة ودمنة:

نعني بالمقومات الأدبية جملة الأحداث الفنية التي تتكفل بالتأثير في القارئ تأثيرا من النوع الفني. ولأن الأدب هو الكلام ذو الهدف الجمالي، وإذا كانت الكتابة - كما يقول رولان بارط - هي علم متع اللغة⁽⁸⁾ فإننا نروم البحث في أبرز تجليات الأدبية في كليلة ودمنة بما هي فعل ناجز في اللغة وبما فعلا مخصوصا هدفه إحداث أثر جمالي ممتع لدى القارئ.

وردت في مقدمة الكتاب في باب غرض الكتاب إشارة هامة إلى المنحى التألفي الذي سيعتمده ابن المقفع في كليلة ودمنة، عبرت عنه الجملة التالية: "هو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا"⁽⁹⁾.

ومن هنا تتحلى لنا تركيبة هذا الكتاب باعتباره نصا أدبيا، فهو

مراوحة بين الكلام التمثيلي، والكلام النثري غير التمثيلي، والهدف، في الحالتين، هو إبلاغ محتواه إبلاغا اعتباريا تهديبياً ولكن عبر أسلوبين فنيين مختلفين: أسلوب المثل النثر القصصي، وأسلوب الحديث أي النثر الفني المرسل. ولكلا الأسلوبين مقوماته الأدبية الخاصة. فجمالية النثر القصصي التمثيلي تقوم على مقومات القصصي أو السرد المتمثلة في محاكاة الحياة بقصة. وجمالية النثر المرسل تتكفل بها مقومات بلاغية تجسمها معطيات بعضها متصل بعلم المعاني، وبعضها متصل بعلم البيان، وبعضها الآخر متصل بعلم البديع.

ففي كليلة ودمنة إذنه جمالتان - على الأقل - متداخلتان، إحداهما قصصية والأخرى بلاغية.

1- الجمالية القصصية:

إن كليلة ودمنة أول أثر نثري قصصي مطول في الأدب العربي يتضمن تسلسلا ووحدة تأليف لها مظهر شكلي تنتظم في نطاقه الأبواب من خلال استقرار علاقة السرد القصصي الكبرى (بيدبا/دبشليم) التي تتكفل بوجود ثبات أو استقرار يضمن الدرجة الدنيا من الوحدة التأليفية ويدخل عليها عنصر تحوّل في المشاهد القصصية داخل الأبواب، وهذه خاصية قصصية شرقية هندية الأصل وتنتظم فيه الأبواب داخلياً متوخية أسلوب التضمين

وهذه خاصية قصصية شرقية أخرى.

فالمظهر الأول لأدبية الكتاب من هذه الزاوية يتمثل في تشعب تركيبه. والتشعب مظهر فني أول غايته التأثير في المتلقي، إضافة إلى غايته التعبيرية والجمالية القصصية التي تقوم على الإيهام بعالم أو جزء من عالم يحاكي الحياة ويخلق له المؤلف راويا يرويه، يتفنع به ليثّ قوما فكرية ووجدانية معينة. كما يخلق له سامعا يتلقى ما يروي، يتفنع به ليفتح ذوات القراء على ما يثّ. ويخلق له أيضا إطارا زمنيا وإطارا مكانيا كافيين لحيطة بالحكاية، ويصوغاها، وشخصيات تتصارع يجعلها أفنعة للبشر تؤدي أدوارهم، وأحداثا تكشف عن عيوبهم أو ثبته إلى محامدهم... وهو يحرك من الخارج خيوط هذه اللعبة الفنية القصصية، ويحدث التواتر والتشويق ويشير ردود الفعل...

وقد يحدث له أن يسفر في النصّ لينبه إلى فكرة أو سلوك، ولكنّ القارئ العادي لا ينتبه إلى سفوره لأنّه قد انخدع بسلطة الوهم القصصي، وأغوته خلاصة الأفنعة، ولأنّ هذا الكون الذي ألقى به فيه خلبه وأخذته عن نفسه أخذا.

والخاصية الجمالية القصصية في كلبلة ودمنة هي خاصية تمثيلية⁽¹⁰⁾ تستخدم صياغ الحيوان لغاية أدبية إضافة إلى الغاية المضمونية المتمثلة في الرغبة في تجسيم الأفكار بوسيلة مبيّنة. وهذا الازدواج بين

الإغراء بالشكل، والكشف عن المضمون أو سلامة الإبلاغ، أو بين التقنّع والكشف، هو الذي تتجسّم فيه أهميّة المثل وهو قصّة حيوانيّة، هو نوع من أنواع الخطاب السردّي له بناء يخضع إلى أحداث خطيّة، والزمن فيه ليس هامًا. والمصدر الأوّل لهذا النوع الأدبيّ هو الهند لأنّ الهنود يعتقدون في أنّ روح الإنسان يمكن أن تنتقل إلى الحيوان، فمن الطّبيعيّ جعل الحيوان ناطقًا، مفكرًا، مدبّرًا. وإنّ حلّ المعتقدات في المجتمعات البدائيّة تتعلّق بالحيوان، حتّى أنّ أغلب الآلهة كانت تتمثّل في شكل حيوان، وكان الإنسان القدم يسقط مجموعة من القيم على الحيوان، حتّى أنّ الحيوان يصبح في كثير من الأحيان رمزًا لتلك القيم ومن ذلك مثلاً عدم أكل لحم الخنزير في الشرق القديم قبل الديانات السماويّة، لأنّه كان رمزًا للشيطان باعتباره كان قد قضى على أدونيس وأوزوليس وأتيس آلهة الخصب. ففي الأنتروبولوجيا البدائيّة كان الحيوان لصيق الإنسان: فالحيّة لصيقة حواء، وفي أسطورة الطوفان يجتمع الإنسان والحيوان معاً. فالقصّة المثلّيّة هي شكل من أشكال الخطاب تعبّر عن علاقة الإنسان بالحيوان، إذ لا غ قطيعة بينهما لأنهما يشتركان في الرّوح.

وتتضاعف قيمة المثل القصصيّة بأبعاده الفكرية التي تستخدم من أجلها، وقد حصرها بعض الباحثين في وظائف ثلاث: الوظيفة

السياسية، / والوظيفة التربوية، والوظيفة الجمالية⁽¹¹⁾ فأما الوظيفة السياسية فتتمثل في كون قصص الحيوان الرمزي لا يغدو "إطارا مناسباً-تاريخياً وحضارياً- للنقد السياسي (...)" وهذا يعني أن ابن المقفع أراد أن يجلس من المنصور كما يجلس يديبا الفيلسوف من ديبشليم الملك⁽¹²⁾.

وأما الوظيفة التربوية فهي "وظيفة تعليمية ممتدة الأبعاد والغايات تستهدف النقد الاجتماعي والأخلاقي. فهي تتجاوز تقويم العادات أو تدعيم التقاليد وتأكيد القيم والمثل العليا إلى رصد الخبرة العملية ونقل التجربة الإنسانية للأجيال على المستويين الفردي والجمعي"⁽¹³⁾.

وأما الوظيفة الجمالية فتتعلق بمتعة القراءة التي تتجاوز مجرد تحقيق غرائبية النصّ وعجائبية القصّ، كما تتجاوز مجرد إثارة القارئ واستثارة الجانب الطفولي فيه، إلى كسر الحاجز النفسي القائم بين الناصح والمنصوح والذي يحول غالبا دون تحقق النتيجة المراد حصولها من وراء الخطاب الوعظي الإرشادي وهي التصديق والتسليم "لأنه أكثر إمتاعا وأصدق إقناعا بعيدا عن الوصاية البشرية والوصايا الخطائية المباشرة ذلك أن الحكمة على لسان الحيوان أدعى للقبول والإقناع منها على لسان الإنسان الذي تنطوي حكمته الإرشادية ونصائحه الوعظية على نوع من الاستعلاء الضمني بين

الناصح والمنصوح، وهو أمر في حقيقته مرفوض من المتلقي لا شعورياً وإن لم يفصح عن ذلك⁽¹⁴⁾.

2- الجمالية البلاغية:

لئن كان مجال الجمالية القصصية المثل طال أو قصر، فإن مجال الجمالية البلاغية الحديث خاصة. فابن المقفع يستخدم البلاغة لتحميل الكلام خارج المثل أكثر من استخدامه إيّاها لتحميله داخله، لأن المثل في ذاته بلاغة وأسلوب.

والملاحظ أن الكاتب لا يسرف في استخدام أساليب البديع، وإنما يصدر فيها عن عفوية هدفها تحلية شكل الكلام لا غير. ومن ذلك استخدامه السجع في مثل قوله: "إن من لم يفكر في العواقب لم يا من المصائب، وكان حقيقاً أن لا يسلم من المعائب"⁽¹⁵⁾.

أما جوانب المعاني من خير وإنشاء وأمر ونهي وحث واستفهام وتحذير... فإنها كثيرة التواتر في كليلة ودمنة وهي مرتبطة مضمونياً بالمشغل التعليمي للكتاب. ومن أمثلتها في الكتاب قوله: "ألزم ذا العقل، وذا الكرم، وذا الأصل الطيب، واسترسل إليهم، وإياك ومفارقتهم. واصحب الصاحب إذا كان عاقلاً كريماً، أو عاقلاً غير كريم، أو كريماً غير عاقل. فالعاقل الكريم كامل، والعاقل غير الكريم أصحبه وإن غير محمود الخليفة، واحذر من سوء أخلاقه، وانتفع بعقله. والكريم غير العاقل الزمه، ولا تدع مواصلته، وإن

كنت لا تحمد عقله، وانتفع بكرمه، وانتفع بعقلك. والفرار كل الفرار من اللئيم الأحقق" (16)

وأم مقومات البيان المتمثلة في الأساليب التصويرية والتخييلية مثل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية... فإنها ظاهرة مبثوثة في الكتاب وهي من أهم المقومات الأدبية فيه. فمن أمثلة التشبيه قوله: "إن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه، فإنه قد قيل: إنه في قلة بقاءه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق التيلوفر... وهو في خفة وواله وسرعة إقباله وإدباره كالريح وفي قلة ثباته كالليب مع اللثام، وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر" (17)

ومن أمثلة تشبيه التمثيل قوله: "فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على نور التيلوفر، إذ تستلذ ربحه وطعمه، فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه، فإذا جاء الليل ينضم عليها، فترتبك فيه، وتموت. ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه، وطمحت عينه إلى ما سوى ذلك، ولم يتخوف عاقبته، كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين، ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل، فيضربه الفيل بأذنيه فيهلكه" (18)

ومن أمثلة الاستعارة قوله: "وللأسرار منازل: منها ما يدخل فيه الرهط، ومنها ما يستعان فيه بالقوم، ومنها ما يدخل فيه

الرجال" (19). ومنها أيضا ما قاله اليوم للغراب: "ونار الحقد لا تحب أيدا، وقد غرستم، معاشر الغربان، بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء" (20).

ومن أمثلة الكناية قول السّور للجرذ: "وإنّ يدك عندي لا تنسى" كناية عن جميل له عليه سابق وفضل متقدّم (21).

وثمة طريقة أخرى من طرق التصوير والتخييل عند ابن المقفع ينشئ بواسطتها صورا بلا معين من وسيلة بلاغية، وإنما يكون الصورة بمنحى خاصّ في تصريف الكلام العاديّ كما هو الشّان في قوله التالي: "فلما أصبحت الغربان، اجتمعت إلى ملكها، فقلن له: قد علمت ما لقينا، الليلة، من ملك اليوم وما منا إلا من أصبح قتيلا، أو جرحا، أو مكسورا الجناح، أو مشوّف الريش، أو مهلوب الذّنب..." (22).

وفي كلیلة ودمنة جماليّة موسیقیّة تتصل بموسيقى الجمل الثّریّة، وتكفّل بإحداثها - إضافة إلى جملة الظواهر البلاغیّة السّابقة - طريقة الكاتب الخاصّة في هندسة الجمل، وتنضيد التراكيب، بما يحدث بينها تناظرا تركيبيّا موسیقيا كفيّلين بشدّ القارئ وإحداث حال من الطّرب لديه.

ومن الأمثلة الدّالة على هذا المظهر الجماليّ عنده، قوله التّاليّ معتمدا أسلوب الموازنة والتّناظر التّركيبيّ: "والمودّة بين الصّالحين سريع

اتّصالها، بطيء انقطاعها. ومثل ذلك مثل الكوز الذهب، بطيء الانكسار، سريع الإعادة، هين الإصلاح، إن أصابه ثلم أو كسر. والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتّصالها. ومثل ذلك الكوز الفخّار، سريع الانكسار، وينكسر من أدنى شيء، ولا وصل له أبداً⁽²³⁾

ومن أمثلته الأخرى قوله التالي: "وقد قيل: لا خير في القول إلاّ مع العمل، ولا في الفقه إلاّ مع الورع، ولا في الصدقة إلاّ مع التّبة، ولا في المال إلاّ مع الجود، ولا في الصدق إلاّ مع الوفاء، ولا في الحياة إلاّ مع الصّحة، ولا في الأمن إلاّ مع السّرور"⁽²⁴⁾

كما يعتمد ابن المقفع أسلوب الطباق والمقابلة مع ميل إلى الجناس طفيف وإلى السّجع خفيف، ممّا يبدو لنا مظهرًا من مظاهر تأثر أسلوبها الكتابة عنده بحركة العقل. فمن أمثلة جمعه بينها جميعا قوله: "لقد صدق الذي قال: لا يزال الإنسان مستمرّاً في إقباله، ما لم يعثر، فإذا عثر لجّ به العثار (...). ويح لهذا الجسد الموكّل به البلاء، الذي لا يزال في تصرّف وتقلّب ولا يدوم له شيء، ولا يلبث معه أمر، كما لا يدوم للطّالع من التحوم طلوع، ولا للآفل منها أفل، لكن لا يزال الطّالع منها آفلا، والآفل طالعا. وكما تكون آلام الكلوم، وانتفاض الجراحات، كذلك حالي، أنا الذي ذكرني هذا البلاء سابق أحوالي"⁽²⁵⁾

تحدّد أدبيّة كليلّة ودمنة إذن بمقوّمين أحدهما قصصيّ والآخر بلاغيّ يشدّان القارئ إلى الكتاب. غير أنّ للكتابة في الأثر مقوّمًا آخر يضيف عليها أدبيّة تخترق النثر العاديّ والنثر القصصيّ وتشكّل غمطًا من الجماليّة خاصّا يمكن أن نسمّيه جماليّة الحركة العقليّة والبناء الرياضيّ والمنطق الجدليّ.

3- جماليّة الحركة العقليّة:

تشدّ هذه الجماليّة القارئ فكريا أيضا لا وجدانيّا فقط، وتبدو هذه الظاهرة في جوانب البناء ومظاهر تشعبه، كما تظهر في طريقة تركيب عناصر الجملة وتوزيعها.

ويستخدم ابن المقفع هذا الأسلوب عنده منها أسلوب الحجاج والجدل مثل ما يظهر في قول "رومي" للجرذ في باب الناسك وابن عرس: "ما لي لا أراك جادًا في قطع حبائلي؟ فإن كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيّرت عمّا كنت عليه، وتوانيت في حاجتي، فما ذلك من فعل الصالحين، فإنّ الكريم لا يتوانى في حقّ صاحبه، وقد كان لك في سابق مودّتي من الفائدة والنفع، ما قد رأيت، وأنت حقيق أن تكافئني بذلك، ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك فالذي بيني وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك، مع ما في الوفاء من الفضل والأجر، وما في الغدر من سوء العاقبة، فإنّ الكريم لا يكون إلّا يكون إلّا شكورا، غير حقوق، تنسيه الخلة الواحدة من

الإحسان، الخلال الكثيرة منه الإساءة. وقد يقال: إنَّ أعجل العقوبة عقوبة الغدر. ومن إذا تضرَّع إليه وسئل العفو فلم يرحم، ولم يعف، فقد غدر⁽²⁶⁾.

كما يستخدم أسلوب التَّقْصِي أو الاستقصاء وهو ما يظهر في قوله: "ووجدت من لا إخوان له، لا أهل له. ومن لا ولد له، لا ذكر له. ومن لا مال له، لا عقل له، ولا دنيا، ولا آخرة له. لأنَّ من نزل به الفقر، لا يجد بداً من ترك الحياء. ومن ذهب حياؤه، ذهب سروره. ومن ذهب سروره، مقت نفسه، ومن مقت نفسه، كثر حزنه، وقلَّ عقله، وارْتَبَكَ في أمره. ومن قلَّ عقله، كان أكثر قوله وعمله عليه لا له. ومن كان كذلك، فأحزبه أن يكون أنكد الناس حظاً في الدنيا والآخرة"⁽²⁷⁾.

ويستخدم أسلوب المنطق الرياضي أو البرهان والاستدلال مما هو مائل في قوله: "قال الغراب: إنَّ من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقاً، ولعدوِّ صديقه عدوًّا"⁽²⁸⁾.

ولا شك في أنَّ لهذا الجانب في كليله ودمنة صلة بثقافة ابن المقفع اليونانية، وهو جانب يَبْهِنُا إلى أنَّ قضية العقل ليست مسألة مضمون فقط وإنما هي إلى ذلك مسألة أسلوبية. فكليته ودمنة حكايات مكتوبة بالعقل.

وإنَّ مظاهر الأدبية التي عَدَدناها تتصافر لإحداث ما سَمَّاه ابن

المقنع اللّهُو ولسنا نميل إلى فهم مدلول الكلمة في معناها المقابل المعنى الحكمة، ولا في جانب الظاهر المقابل لجانب الباطن، ولا في ثنائية التقنع والكشف، أو الحيوان والإنسان، أو الهزل والجدّ... وإّما نرى أنّ المقصود باللّهُو هو تمويه الكلام بمحسنات ومغريات أسلوبية تجعل له سلطانا يمارسه على متلقّيه فيجعله ذلك يتقبّل الحكمة والعبر ويتشرّبها بلا شعور وبرغم منه.

وقد أدرك ابن المقنّع تمام الإدراك سلطة الكلام الأدبيّ التخيليّة الخالصة فعبّر عنها على لسان دمنة: "إنّ الرّجل الأديب الرّفيق لو شاء أن يبطل حقّا ويحقّ باطلا لفعل، كالمنصّور الماهر الذي يصوّر في الحيطان صورا كأنّها خارجة وليست بخارجة، وأخرى كأنّها داخلية وليست بداخلية"²⁹.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبعد، أليست تلك صورة الكتاب في كليّته: صور الحيوان فيه خالصة، تراها كأنّها خارجة عن الإنسان وهي أدخل ما تكون فيه، وترى الخرافة أدخل ما تكون في الخيال وهي أدخل ما تكون في الواقع، وترى الهزل أدخل ما يكون في اللّهُو وهو خارج عنه أدخل ما يكون في الجدّ؟.

هوامش وإحالات:

- 1- يمكن أن نذكر - على سبيل التمثيل - مما هو من مجال المضمون الاجتماعي الأخلاقيّ النفاذ التالية: ضرورة التعاون، معاملة الصّديق، معاملة العدو، العلم والعمل به، حسن التدبير، المراتب الاجتماعيّة وضرورة الحفاظ عليها، الفرد والمجتمع... أمّا المضمون الماورائي فيمكن

- تلحظه في النقاط التالية: الإيمان بالقضاء والقدر، الدنيا والآخرة، الخير والشر.
- 2- ذكر دمنة لكيلة أنه يريد التقرب من الأسد/الملك هذا الأمر: "ولعلي على هذه الحال أدنو منه فأصيب عنده مزلّة ومكانة". أنظر: ابن المقفع (عبد الله): كيلة ودمنة، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس ط 2000، 10 ص 42-43.
- 3- جاء على لسان كيلة ناصحا دمنة قوله التالي: "إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد فشأنك فإن الثور قد أضربى وملك، وبغرونا من الجند. وإن أنت لم تقدر على ذلك إلا هلاك الأسد فلا تقدم عليه فإنه غدر متى ومنك". ص 42-43.
- 4- المثل Fable من أقدم الأنواع الأدبية لأنه وليد الحاجة الطبيعية التي يشعر بها الإنسان إلى التعبير بالصورة وبشكل حسي. والمثل قصة تحكي تختلف عن الخرافة الحكيمية Apologue إذ الخرافة الحكيمية صورة بدائية للنقص الأخلاقي التعليمي الخفي. بينما المثل يتضمن جانباً سردياً هاماً. كما يختلف عن Parable أو حكمة، إذ أن السمة المميزة لهذا الجنس أن يكون التوازي بين السرد والحكمة دون تغليب جانب على الآخر. بينما قد يحجب السرد الحكمة في المثل. ويختلف المثل أيضاً عن الأسطورة Mythe التي تقوم أساساً على قصة عحية وعلى شخصيات ذات مصير إلهي والتي تأتي دائماً لتفسر بدء الإنسان ونشأة الكون بينما يتميز المثل عنها بمضمونه الأخلاقي.
- 5- لعل رسالة الصخالة التي وضعها ابن المقفع للمصور وانتمت فيها الخطاب المباشر الفصح، ولما فيها منحنى التوجيه الإلزامي، ومال عن الالتماس إلى الأمر الصريح، هي التي كانت وبالأحرار.
- 6- كيلة ودمنة: ص 125.
- 7- باب "الفحص عن أمر دمنة" هو باب مضاف.
- 8- بارط (رولان): لذة النص، تعريب: فؤاد صفا والخمين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1988، 1 ص 15.
- 9- كيلة ودمنة: ص 5.
- 10- ذهب فرج بن رمضان على أن ابن المقفع هو "مؤسس هذا الجنس السردّي في الأدب العربي" قد استعمل عبارة المثل والأمثال للدلالة في وضوح تام على ما تضمنه كتاب كيلة ودمنة من قصص، غير أنه من المعلوم أن المثل الاصطلاحيّ لعبارة المثل لا ينحصر في قطاع السرد، فالمثل في معناه الأكثر تداولاً وانتشاراً في المعاجم وكتب الأمثال المنقطة ولدى غير

واحد في الدارسين قسماً على معنى المفصلي وإنما هو. أي مثل، القول النوح البيع
المسار الذي استمد من سياق مرجعه الأول لا محالة ولكنه يشبه بعض الشيء... وإلى ذلك
نستعمل كلمة مثل في الميدان البلاغي ونرد مرادفة لتشثيل والمثالة-- عد إلى مقالة: مكانة
النعي وصفاته في الحكاية المثلية، ضمن حوليات الجامعة التونسية عدد 46-2002.

11- التجار (محمد رجب): حكايات الحيوان في شتات العربي، ضمن: عالم الفكر،
العدد 1 و 2 و 3 و 4-1995 ص 207-211

12- المرجع السابق: ص 207

13- نفسه: ص 208

14- نفسه: ص 211

15- كلبلة وذمنة: ص 156

16- نفسه: ص 64

17- نفسه: ص 125

18- نفسه: ص 52

19- نفسه: ص 107

20- نفسه: ص 111

21- نفسه: ص 139 <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

22- نفسه: ص 104-105

23- نفسه: ص 91

24- نفسه: ص 60

25- نفسه: ص 102. وأنظر كذلك ص 65 و 140

26- نفسه: ص 138. ويمكن العودة أيضا إلى باب الفحص عن أمر دمنة

27- نفسه: ص 96-97

28- نفسه: ص 92

29- نفسه: ص 28



قراءة في شعر نزار قباني

بين الثورة على السائد وتكريس سلطة الأنوثة

بقلم: نجاح زقية

يكاد لا يختلف اثنان حول التزعة الثورية في شعر نزار قباني عبر دواوينه الغزيرة {قالت لي السمراء- الرسم بالكلمات- أنت لي- قصائد متوحشة إلخ..} أولاً باعتباره شاعراً مجدداً للمنظومة الشعرية العربية ورائداً من رواد القصيدة الحرة، وثانياً لخوضه في مسائل شائكة تتصل بالمرأة، والسياسة، والحياة الاجتماعية السائدة، وهي في الغالب مسائل ذات مضامين حساسة بالنسبة للمجتمعات العربية التي لم تكن قد تهيأت لتقبل الرؤى الهادفة للحديث، والتحرير، وردم الهوة بين المبدع والمشاعل الحياتية للإنسان العربي، حتى على مستوى التعامل مع الأشياء، والأكد أن الشاعر نزار قباني يعدّ علامة بارزة في سياق هذا السعي الهادف، و نقطة تحوّل مفصليّة في تاريخ الثقافة العربية والشعر الحديث، فهو من عرّى الواقع العربي سياسياً واجتماعياً وشرّح نكباته في أحلك الظروف، ولعب على تناقضاته الغريبة، ومفارقاته العجيبة بأسلوب شعري كسر صلبان اللغة، وابتكر "كيمياء اللفظ" على حدّ تعبير "رامبو"، ولم تدفعه المناصب السياسيّة التي شغلها لسنوات ثم استقال منها، لم تدفعه إلى إقصاء قريحة الشاعر المثقل بموم الذات والأمة، بل عاش حرّ الفكر والوجدان كحصان دمشقيّ، متمرداً على

تقاليد الجُمُود وواقع التَّأزُّم العربي، وانتهى قاتلاً سنة ألف وتسعمائة
والثَّنين ولثمانين عقب مقتل زوجته بلفيس في حادث تفجير إبان الحرب
الأهلية اللبنانية:

> لن أقرأ التاريخ بعد اليوم!

إنَّ أصابعي اشتعلت وأثوابي تغطِّيها الدِّماء..

ها نحن ندخل عصرنا الحجري

ونرجع كلَّ يوم ألف عام للوراء <

وهو الشاعر الذي أوجد نمطا جديدا في التعاطي مع خصوصيات المرأة

{العطر، الفستان، المشبك، السوار..} ومع الحياة اليومية في أدقِّ

تفاصيلها وتعامل مع أشياء كان يبدو من المستهجن إقحامها صلب

القصيدة العربية {كالبغ والشاي والحريدة..}

أ أعجبك الشاي؟ <http://Archivebeta.Sakhril.com>

هل ترغبن ببعض الحليب؟

وهل تكتفين كما كنت دوما بقطعة سكر؟ <

> عيناك..

و تغمي..

و كحولي..

والقدح العاشر أغمايني <

> حديثك سجادة فارسية....

وقلبي يسافر مثل الحمامة

فوق مياه يديك..

وياخذ قيلولة تحت ظل السوار<

إنها كما أشرنا ألفاظ وأشياء تعدّ مهملة ومستحقرة من لدن الذائقة الشعرية العربية، التي طالما تفوّقت داخل المنظومة الكلاسيكية، تقنات عليها، وتجنّرها، وتستنسخها، وتغارب كلّ محاولات التطوير والتحديد على مستوى اللغة، والمخامل، والتعامل مع الواقع، لذا كان من الطبيعي أن تلتصق بالقبائلي: شاعرا وإنسانا همّ جمّة من قبيل المروق والزندقة والجنون، وأن ينظر إليه كصاحب بدعة شعرية تستوجب الدحض، وكظاهرة ثقافية خطيرة تهدّد منظومة القيم الاجتماعية العربية، و تستدعي إعلان الحرب عليها، وقد عانى الشاعر كما هو معلوم من حملات إعلامية شرسة حتى عقب سطوع نجمه في سماء الإبداع العربي واتساع رقعة المعجبين من المحيط إلى الخليج، ومعلوم أيضا أن غالبية العواصم العربية لم تشرع أبواها لتعانق شخصه و إبداعه إلّا في مرحلة متأخرة من حياة الشاعر..، ولأنّ "التهمة" الكبرى أو المقولة الأبرز التي التصقت بالقبائلي منذ بداية المشوار و إلى نهايته وكانت بمثابة "الذنب الجسيم" الذي حمل وزره عقودا من الزمان هي انخيازه الكامل للأنتى إلى حدّ اعتباره شاعر المرأة ونصيرها الأكبر سنحاول في هذه القراءة تسليط الضوء على عين المسألة حتى نبيّن مدى مشروعية

المقولة من خلال الخطاب الشعري القبائي، وليس من خلال السيرة الذاتية للرجل، وهي سيرة زاحرة بالحقائق والشائعات، حول علاقات عديدة ومثيرة للجدل بجنس حواء، وجميعها كرّست فكرة ارتباطه العجيب بالعالم الأنثوي بشكل غير مسبوق، و لكنّ هذه الإطلالة - كما أسلفنا- ستركّز أساسا على طبيعة حضور المرأة في صلب أشعار نزار قباني ومدى تطابق ذلك أو تنافره مع الواقع الثقافي والاجتماعي للمرأة العربية، ثم حجم انعكاس الرؤية الشعرية التزارية على هذا الواقع، يقول في قصيدة الخرافة:

> حين كنّا في الكتائب صفارا

حقنونا بسخيف القول ليلا ونهارا

ARCHIVE

درّسونا:

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

"ركبة المرأة عورة.."

ضحكة المرأة عورة

صوتها..

من خلف ثقب الباب-عورة

صوّروا الجنس لنا.. غولا بأنياب كبيرة..

يحنق الأطفال.. يقاتن العذاري..<<

إنّ مجتمعات دأبت عصورا وعصورا على تلقين الأجيال دروس الترهيب الديني والزجر الأخلاقي انطلاقا من البيت ثم الكتاب الذي يمثل المؤسسة التعليمية عامّة وصولا إلى الشارع، وغايتها الأولى والأخيرة أن

تعزل المرأة في ركن قصي، وأن تنتقص من شأنها كما لو كانت " شاة أو بعيرا" وفي أحسن الأحوال جسدا يختزل معاني العورة والحرام والدنس الجنسي، كان من الصعب عليها هذه المجتمعات العربية أن تتقبل التعريض المستفز. منظومتها الثقافية والأخلاقية بل عسير عليها أن تتقبل مجرد الإشارة إليها، أما حين يوجد نزار قباني رؤية جديدة وبديلة تنطلق من دائرة الشعر، ويكون محورها الحبّ و الرغبة في الدنو من ذات المرأة جسدا ، وفكرا، ووجدانا، دون عشية ودون احتقار، وتنتهي الرؤية بجعل الأنثى ححر الزاوية في بناء عالم الإنسان، وبإكسابها سلطة حجارة تلمس ثقافة الخرافة، فتغدو بدورها معلّمة، ولكنها تمنح دروس التغيير والحضارة، فذلك هو التهديد بعينه للمجتمعات التقليدية وتلك هي الرؤية التي تعتبر "تغريبية" هدامة لاسيما من وجهة النظر الدينية المتشددة، وهي مرفوضة بطبيعة الحال شكلا ومضمونا يقول الشاعر:

> عَلمني حبّك..

أن أتصرّف كالصبيان

أن أرسم وجهك بالطبشور على الحيطان

وعلى أشرعة الصيادين..

على الأجراس، على الصليبان

عَلمني حبّك.. كيف الحبّ.. يغيّر خارطة الأزمان..<

> .. دعيني أقود انقلابا..

يوطد السلطة: عينيك بين الشعوب

دعيني أغير بالحب وجه الحضارة ..

أنت الحضارة..

أنت التراث الذي يتشكل في باطن الأرض منذ ألاف السنين<

هنا تجدر الإشارة إلى أنَّ المرأة العربية على امتداد عصر الشاعر وإلى اللحظة الراهنة لم تكن عموما ذلك التجسيد الصادق للمرأة كما في الخيال الشعري "القراري" الجموح، ولم تكن أهلا للهيئة الأسطورية المبتدعة التي أحاطها بها في كثير من القصائد البديعة، بل إنها شكّلت ولحقب طويلة، مظهرا لحالة مرضية مزربة من ناحية الجهالة والأمية و المظالم الأسرية والضيغوط الاجتماعية {مع الإشارة طبعاً لوجود حالات استثناء} ولكنَّ الشعر في نهاية الأمر {كخليفة} من حلقات الفن ليس مطالبا بأن يعكس الواقع بخدافه، أو أن يكون أمينا في التعبير عن العالم والإنسان أمانة تامة، بقدر ما هو توفيق للمفقود، و سعي للخروج عن المألوف بإيجاد معايير مبتكرة على مستوى استعماله اللغة أولا وأساسا، وعن طريق ابتداء نظرة غير عادية لعالم إنساني قد يكون عاديا أو حتى متقلبا بشئ المهموم و العيوب التي تستدعي التعريض والإدانة، وقليلون هم الشعراء من نوعية نزار قبّاني القادرون حقاً على تبني مقولة" أصدق الشعر أكذبه"، بيد أنَّ الشاعر وإن أطلق عنان الفن الخالص على مستوى الصورة الشعرية الخيالية والإيقاع الموسيقي داخل القصيدة

الحديثة بشكل هرموني مثير، فإنه لم يتجاهل ذاك الثقل الواقعي الذي ترزح تحته المرأة العربية، وذلك الإيقاع العنيف لحياتها التعسة، بل لقد نظم بشكل متوازي لنموذجين من المرأة: أحدهما يرصده بخياله ويمثّل {الجمال، الإلهام، الحضارة، الوطن، القداسة، الحياة}

> حبّك يا عميقة العينين

تطرف.. تصوّف عبادة

حبّك مثل الموت والولادة

صعب بأن يعاد مرتين<

> كيف تريدني أن أبرهن

أنّ حضورك في الكون

مثل حضور المياه..

ومثل حضور الشجر؟<

> من أجلك أعتقت نسائي

وشطبت شهادة ميلادي

وقطعت جميع شراييني<

وأما النموذج الثاني للمرأة فموجود كما أشرنا على صعيد الواقع الحيّ ويمثّل {الجهالة- الجبن- الكبت - الخيانة- الانتهازية..} وقد انتقد

الشاعر وبقسوة خنوع هذا النموذج و تصوراته المغلوطة حبال عارضة
الحب وتكلم على نظراته السطحية والمحدودة لعالم الرحلة:

> قلبي.. انفعلي..

انفجري..

لا تقفي مثل المسمار! <

> مرهقة أنت وخائفة

وطويل جدًا مشواري <

> اختاري الحب أو لا حب

فجبن ألا تختاري <

<http://Archivebeta.Sakhril.com> *****

لم تستطيعي بعد أن تفهمي

أن الرجال جميعهم أطفال

> قصص الهوى قد أفسدتك..

فكلها غيبوبة وخرافة وخيال..

الحب ليس رواية شرقية

بختامها يتزوج الأبطال

لكنه الإبحار دون سفينة..

وشعورنا أن الوصول محال..<

وبالتساوق مع هذا الانتقاد الحاد والرفض الصريح، كان الشاعر متعاطفا على طريقته الخاصة، مع معاناة المرأة في بيئة قاسية على سلطة الذكورة ولا تعترف بأي علاقة تربط بين الجنسين خارج منظومة الزواج كالعشق والصدقة {قصيدة كن صديقي!} كما نجح إلى حد بعيد في تقمص شخصية العاشقة الحاملة {قصيدة أظن} وأطرب دنيا الأمومة بطريقة طفولية، تعبق رومانسية مؤثرة، عبر قصيدة {رسالتان إلى أمي}:

> .. أيا أمي

أنا الولد الذي أبحر

ولا زالت بخاطره..

تعيش عروسه السكر

فكيف.. فكيف يا أمي

غدوت أبا.. ولم أكبر؟ <

وأخيرا وليس آخرا تشكّل قصيدة بلقيس كما ذكرنا ذروة الثورة على الواقع العربي المأزوم وقمة التوجع لفقدان الزوجة التي اتخذت رمزا للحب والوطن، والأمة بأسرها، وكانت تصويرا قويا وعميقا لحبه وحياته الشخصية، و تنويعا لمسيرة شعرية طويلة و حافلة بشجون الرجال والنساء والإنسان العربي عامة، تلك المسيرة الشاقة التي سببت للشاعر ذبحة القلبية، وإن منحته الميدالية الذهبية في نهاية المطاف "فلا

مزاح مع الشعر " على حدّ تعبيره النقدي و"من يكتب يحمل في أوراقه ذبحته القلبية " لذا لن يكون الموت أمراً طارئاً، والتغيير يتطلّب وقوداً حياً مثلما آمن شاعر المرأة وحلّادها أيضاً عندما تحبّطه ولا تفهمه، وحين يضيّق عليه الواقع آفاق الخيال الجموح، ونختتم هذه القراءة حول نزعة الثورة وسعيه لتكريس سلطة الأنوثة بمقطع من قصيدة بلقيس:

> حتى العيون الخضّر يأكلها العرب
حتى الضفائر.. والخواتم.. والأساور.. والمرايا.. واللّعب
حتى النجوم تخاف من وطني ولا أدري السبب..
حتى الطيور تفرّ من وطني ولا أدري السبب..
حتى المواكب.. والمواكب.. والسحب
حتى الدفاتر.. والكتب..
وجميع أشياء الجمال.. جميعها ضدّ العرب<./.

رسالة وردت علينا من صديقة الإتحاف الشاعرة محجوبة الجلاصي:

"اسمحوا لي أن أشكركم على ما تبذلونه من أجل الرقي بمجلة "الإتحاف" التي والحمد لله حققت نجاحات على المستوى الوطني وحتى العربي وفعلاً القارئ يجد مبتغاه الثقافي.

بالنسبة للاستعداد للاحتفال باليوبيل الفضي لمجلة الإتحاف فإنني اقترح تكريم الأعلام القديمة التي أثّرت المجلة وساهمت في إثرائها".

فنشكر الشاعرة محجوبة الجلاصي على هذه الرسالة.

الأمن والسلم العالمي في نظر الإسلام

بقلم: عبد الكريم العطاوي

أردت أن أنوه- في هذه المناسبة المباركة- بالجهود المبذولة من قبل جمعية المؤتمر الإسلامي، ومؤتمر العالم الإسلامي- لإبراز موقف الإسلام من النظام العالمي الجديد، وأبارك جهود المسؤولين في هذا المسعى الطيّب.

وقد احترت أن أتكلم عن الأمن والسلم العالمي في نظر الإسلام، وذلك لأن الأمن كان ولا يزال من أعظم آمال الشعوب البشرية قاطبة في تاريخنا الطويل، كما أن أبغض الأشياء إليها ذلك الدمار، وتلك الدماء التي سالت ولا زالت تسيل، تَحْضِب وجه الأرض في مختلف أزمنة التاريخ، إلا الشيء إلا لتحقيق نزوة حاكم أو جماعة، تريد الانتقام أو السيطرة على أقطار أخرى ظلما وعدوانا، مع أن الله تعالى لا يحب المعتدين، ومن ثم أصبحت الحرب شبحا مخيفا للإنسانية جمعاء لذلك تعلقّت آمال الشعوب كلّها بالأمن والسلام، وحاولت مخلصّة أن تجد الحلول الملائمة لفض كل التّراعات بالوسائل السلميّة، لأن الأمن والسلم أمنيّة كل إنسان في الدنيا، بما يحيا حياة طيبة ويعيش عيشة راضية، تحقّق كرامته وعزته.

ولن يتأتّى ذلك، ويتحقّق في دنيا الواقع إلّا إذا كانت جهود العلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها شاعرة بمسؤوليتها الثقيلة

المتتمثلة في الإرشاد والتوجيه والنشر في وسائط مختلف وسائل الإعلام العالمية حسب طاقاتهم، مبيينين حلول الإسلام لهذه الخلافات الظرفية بواسطة الحوار الإيجابي الذي يعيد الإخاء والمحبة والعدل والمساواة بين الشعوب والأمم.

مع أن الأديان السماوية كانت ولا زالت كلها تدعو إلى الوَدِّ والرحمة والمحبة والإخاء والأمن والسلام، وكان لها دور إيجابي في تحقيق السلام، إذا استطاعت أن تحققه فيما مضى، وهي قادرة الآن أن تقوم بمثله أو أكثر، وذلك بإقناع الشعوب والحكومات بانتهاج مناهج من شأنها أن تحقق الأمن والسلام في الوقت الحاضر، وتبعد عنهم شبح الحرب والخوف والظلم والعدوان والطغيان والاستعمار والاستثمار الفاحش والإرهاب.

هذا وأن الدين الإسلامي، وهو آخر الأديان، الذي تضمنت مبادئه خلاصة تعاليم تلك الأديان، لازال يدعو إلى الأمن والسلام العادل ولا أدل على ذلك من أن اسمه يدعى بدين السلام، وهو يدعو أيضا في آياته وتوجيهاته إلى إفشاء السلام والإخاء والمحبة والعدل والإحسان والمساواة والحرية، ونبذ العدوان والخصام والتشاحن والبغضاء. إذ يفضل الحوار على القطيعة كقوله تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها" الأنفال/61. كما أنه اشتمل على مبادئ هامة. أخص بالذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

1/ الإخاء الإنساني:

ينظر الإسلام إلى الجنس الإنساني نظرة واحدة، باعتباره منحدرًا من أصل واحد، ألا وهو آدم عليه السلام، وما دام الأصل واحد والأب واحدًا، فليس هناك داعٍ للتفاخر والتعالي والتسلط والكبرياء، إذ القيمة الحقيقية للإنسان هي العمل الطيب الذي تقدمه يدا، والجهد الذي تنتفع به الإنسانية جمعاء كقوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى" (1)، مصداقًا لقوله تعالى: "أن أكرمكم عند الله أتقاكم" المحررات/13.

2/ المساواة:

يبيّن الإسلام علاقة الإنسان بأخيه على مبدأ المساواة المطلقة في القيمة الإنسانية، ومن ثم سنّ قانونًا عادلًا، يعمل على إرساء الحق بين الجميع، فلا ظلم ولا إجحاف ولا تمييز بين الناس كقوله صلى الله عليه وسلم: "الناس سواسية كأسنان المشط" لأنهم ولدوا في ظروف متساوية، ومنحوا أدوات الفهم والتعقل والتفكير، ويسير أمام كل منهم سبيل النبوغ والتفوق في المجال الذي يهيئه استعدادده الخاص للنبوغ فيه كقوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" النحل/78.

3/ المحبة:

قام الإسلام على أساس من عاطفة الحب، ويدعو إليها، ويعمل من

أجلها، لا فرق في المعاملة بها عنده بين معتقيه وغيرهم، ما لم يكن هناك عدوان مبيت على المسلمين قال تعالى: "لا ينهاكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين" الممتحنة/8-9. بهذا نلاحظ أن الدين الإسلامي هو الدين الذي أعلى شأن السلام والإحياء والمحبة، وأشاعها في الدنيا كلها، إذ الناس جميعا نسبتهم عنده إلى الله واحدة قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات/13.

على أساس هذا كان الإسلام يرى أن العمران الحضاري لا يقوم إلا على أساس المحبة بين الناس لماذا؟ لأن المحبة هي السبيل الوحيد إلى صفاء النفس ونقاء القلب وطهارة الوجدان. وهي كذلك الطريق الوحيد إلى وحدة الكلمة ووحدة الصف ووحدة الهدف، وهي الوسيلة إلى التعاون الصادق المخلص الذي يجعلنا قادرين على اجتياز المحن والتغلب على الصعوبات صفا واحدا وقلبا واحدا، لا يفرق كلمتنا هوى. إذن فهذه المحبة هي التي تعطينا من قدراتنا الذاتية كل ما تستحقه متى نعمل على تقويتها بين الشعوب والأمم لماذا؟ لأنها أساس الخير والتعاون والألفة، والطريق الوحيد إلى دفع الشر والحرب والإرهاب.

فالإسلام بهذا الاعتقاد لا زال يحرص كل الحرص على أن يسود منطق الأمن والطمأنينة بين الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين على

السوء لماذا؟ لأنه يحب الحياة الهادئة الهانئة، ويبعد عنهم الخوف، لسمته وطبيعته المأخوذة من مادة السلام، حيث جعل التحية الوحيدة لأهله هي السلام، كما طلب من المسلمين إشاعة السلام بين الناس جميعاً فقال صلى الله عليه وسلم: "افشوا السلام تسلموا" وقال أيضاً: "غيركم من بدأ صاحبه بالسلام".

4/ دعوة الإسلام سلمية:

كان عمله البارز هو التبشير بكل القيم النبيلة، ودعوة الناس جميعاً إلى ما فيه خيرهم في حياتهم الدنيوية والأخوية، حتى تسود المجتمعات روح المحبة والتآخي والبعد عن التباغض والشحناء والأنانية التي تؤدي إلى المعارك والحروب على مستوى الجماعات والشعوب، ومن ثم كانت مبادئه تدفعهم إلى التعلق والتشبث بمبادئ السلام وتحثهم على الدخول فيه، ⁽¹⁾ استجابة لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان" البقرة/208. والدعوة السلمية الهادئة أبرز خصائص الإسلام، فهو يريد أن تكون بالحسنى وبالاقتناع والفهم المستنير ووحدة الجنس البشري، إنما هو لأجل التعارف لا التحالف، وللتعاون لا للتخاذل، وللتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التي تعود بالخير على المجموع والأفراد كقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" بهذا الاتجاه الصائب يقرّر مبدأ وحدة الأديان فالمسلم يؤمن بكل

نبيّ، ويصدّق بكل كتاب نزل ويحترم كل شريعة سماوية وبشي على كل أمة من المؤمنين خلقت قال تعالى: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" البقرة/136. وقال أيضا: "والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما" النساء/151.

8/ تحقيق السلم في العالم:

ينادي الإسلام جميع الشعوب والدول في العالم بأن يدخلوا في السلم كافة، وذلك بأن تحترم كل دولة كلمتها، وتوفّي بعهودها وموائيقها، وتركز سياستها على إقرار مبادئ السلام والأمن والعدل والمساواة لتحقيق الطمأنينة بين الشعوب.

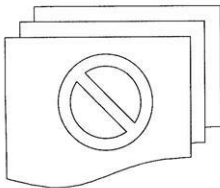
هذا النداء الإسلامي هو الذي يوقف التسابق بين الدول في الاستكثار من آلات التدمير والتخريب والإفناء لتحقيق الجشع والأنانية وحبّ الذات والاستيلاء والسيطرة التي تؤدّي إلى قانون الغاب، وتحقيق المقولة التالية: "البقاء للأقوى".

9/ الخاتمة:

أقول في اختتام هذه المداخلة بصراحة، إن المنشئين بالأنانية والجشع وحب الذات والسيطرة على الآخرين، ما لهم الفشل الذريع بدليل فشل الحركة الاستعمارية عبر التاريخ. بناء على هذه الحقيقة،

نطالب معشر المثقفين والكتاب والعلماء في العالم أن يعتصموا بحبل السلم والأمن، متصددين بحزم لا يقل لتلك التزوات المتمثلة في بعض المنظمات اللاشعرية، وفي بعض الدول المثبثة بالآنا العالمي. أعتقد أن النجاح سيكون حليف هؤلاء المدافعين عن السلام العالمي، وذلك بأن يطلبوا بكل إلحاح من جمعيات حقوق الإنسان ومن المؤتمرات الإسلامية والأدبية والثقافية ومنظمة الأمم المتحدة لتطبيق ما أشرت إليه على سبيل المثال كتحقيق الإخاء الإنساني، والتوسط والاعتدال في الحوار مع الآخرين. لتحقيق تلك الأمنية الغالية المتمثلة في السلم والأمن العالمي. باعتبار أن هذا الهدف هو هدف إنساني بحث كما قال أحد الشعراء:

القاس للناس من يذو وحضر*** بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
كما أقول للمدافعين عن السلم العالمي: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.



تحية إلى روح

الحاج محمد المختار بن نصر

بقلم: حسن ظاهر الرفاعي

الأمس، اليوم، الغد، هذا هو الترتيب الزمني، وهذا هو الاتجاه الصحيح للسير فيه، غير أن الأمس (الماضي) أحياناً يسحبنا فنعود إلى الوراء، ومن الضروري أن نرجع إليه من حين لآخر، وكلما دعت الحاجة لنعيشه ولو في الخيال على سبيل التذكّر رغم انقضائه، ومع ذلك نستفيد لأنه يقوم ما بنفوسنا من اعوجاج ومجئنا المشاق والمتاعب...

ففي العودة إليه ترويح عن النفس وأخذ الدرس والعبرة منه وفي هذا الصدد قال أرسطو: "اعتبر بمن مضى قبلك ولا تكن عبرة لمن يأتي بعدك" وبذلك نستطيع أن نواجه الغد (المستقبل). وقد تحدث أحد المفكرين الغربيين عنه فقال: "الماضي لا يموت أبداً فهو حيّ فينا، وهو أقدم مرشد في حياة الأفراد والأمم، وما روح الأحياء، إلا مؤلفة من أفكار الأموات".

لهذا وغيره جعلنا ركناً قاراً بمحلتنا الغراء "الإتحاف" تحت عنوان:

"أمشي إلى أمسي..." فمن خلال هذا العنوان سنستشف التلاحم بين الماضي والحاضر والآتي. وتتمّة لما كتبت في العدد السابق بمحلة الإتحاف العدد 196 السنة 25 / جوان / 2009 في دراسة عن المختار بن الحاج نصر. "سيدي المختار

الوجه البارز في التربية والتكوين" وفي هذا العدد وفي نفس السياق أوصل الحديث عن مآثر ومناقب المرتبي المختار.



فالمسيرة

التربوية الموقفة على

امتداد مباشرة سيدي

"المختار بن نصر"

للتربية والتعليم أثمرت،

فكمّون أجيالا لازالت

تعترف بحمّل فضله

عليها إلى الآن،

ولازال الاحتفاظ

بالذكرى في الذاكرة

فائما وسيظلّ كذلك،

ولهذا لازلتُ أتحدث عنه بإعجاب وبكل تقدير فهو جمع بين صفات المرتبي والقائد الكشفي الذي يؤثّر في من حوله بسلوكه القويم، وهو من بين الذين أخذنا عنهم الكثير.

ولقد حاولت أن أسرد شيئا من خصاله العديدة فاستعدت ماضي الأيام والسنوات الحالية، غير أنني تذكرت أشياء وغابت عني أخرى.

وعند استعراضني لفترة مكوث "سيدي" في سليانة لاحت لي بعض الجزئيات التي سهوت عنها، فسارعت لذكرها باعتبارها تفيد الراغب في متابعة مسيرة هذا المربي المثالي وأخذ العبرة من سلوكه التربوي والاجتماعي، فبعض تصرفاته تظهر عادية ولكنها عميقة في أهدافها التربوية.

إن الرجل يريد من خلالها أن يرسخ سلوكيات معينة في الأوساط التلمذة فيعتمد السهولة في التبليغ واستغلال الظرف المناسب، لأنه مرب ليس ككلّ المربين، فهو يعلم الصغار بمثل عقولهم وبترتيم تلك يسعد، لأنه أسعد غيره.

ولمن أراد أن يوثق بأي شكل من الأشكال مسيرة هذا المربي القدير الذي غزى القلوب أن يوثق سواء بالكتابة أو بالصورة والكلمة، خاصة في مجال الوسائل التلمذية البصرية، فإنّ المتشاحة أمامه شاسعة، وبما أن من خصائص هذه الوسائل أنها تبتث الكثير في وقت قصير فتشبع لهم المتابع للأحداث والمواقف وسرعان ما تنفذ إلى أعماق وجدانه.

والمواقف والأحداث التي سأذكرها لمزيد إثراء ما سبق ذكره فإن التعليق عليها ينقص من قيمتها لأنها هي علة نفسها، توحى للقارئ بذكاء هذا الرجل وفطنته ولباقة وحنكته وحسن تعامله وخصاله، فالعقلية التي عليها هذا المربي العظيم متطورة وشاملة استوعبت كل النواحي، فأثر في منظوريه بالتلميح وبالتصريح وأحيانا بالشدة في غير عنف وباللين في غير ضعف.

ولعلّ، وهذا من المؤكّد أن ما في ذاكرة غيري من تلامذته وزملائه ومعارفه أشياء أخرى هامة ذات بال.

ذاكرة قويّة:

يوم الأربعاء 06 أفريل 1994 عند زيارته إلى مدرسة النصر القرآنية للمبيت (الجمهورية حاليا) بسليانة بعد 40 سنة من مباشرته لها كأول مدير فتحها في أكتوبر 1954، تقدّم أحد تلامذته القدامى وسلّم عليه وقال : يا سيدي أنا "الهادي" وذكر لقبه "النعمري" نظر إليه سيدي "المختار" وسكت هنيهة ثم قال : "اسمك ليس الهادي بل محمد الهادي". وفعلا اسمه على الوثائق الرسمية محمد الهادي، وتحدّث ضيفنا المبحّل عن ذكريات، وذكر أسماء المعلّمين الذين باشرُوا التدريس معه.

ARCHIVE

<http://Archive.org>

تشجيع على الطرق الحية واستعمال المحسوس والمقولة التالية لها محل عند سيدي "المختار"

"أنا إن سمعت بأذني نسييت، وإن رأيت بعيني تذكرت، وإن عملت بيدي تعلمت".

بعض دروس التاريخ تقام في ساحة المدرسة، خاصة المتعلّق منها بالمعارك في الحروب، وذلك بتمثيل الأدوار فيكون استعمال المحسوس يجلب بعض الخيول فيمطّيتها بعض التلاميذ بلباس من الزّي القديم والبعض الآخر بمسكون بالعصي كأسلحة، وتبدأ حصّة التاريخ بأقوال وأفعال، ويظهر على الساحة الميت والجريح والدماء المصطنعة تسيل من رقبة هذا ورجل ذاك وينبعث الأنين من الجرحى المساكين وتتعالى صيحات

المهاجرين ويفر المنتهزمون... ويُنتهي الدرس سي "عثمان الشواشي" المعلم الأصيل- رحمه الله إنه أصيل باحة-، وهكذا تنحز بعض الدروس بالمحسوس وبطبيعة الحال بموافقة المدير سي "المختار".

محبة صادقة وعطف كبير على التلاميذ:

-اهتمامه كبير وعنايته فائقة بكل التلاميذ خاصة بالمبتئين فهو يقوم بدور الأب كتعويض، ويبحث الإطار التربوي الداخلي من قيمين وغيرهم بمزيد الاهتمام.

-جلب "فيلمًا سينمائيًا" وعرضه للتلاميذ الداخليين والخارجيين من مدرسته "النصر"، كما تمّ إعلام تلاميذ "المكتب" (البريد حاليا) ليشاهدوا العرض بمناسبة ختان ابنه.

ARCHIVE

اهتمام متزايد بالنظافة والنظام:
وسط ساحة المدرسة، نافورة بها أسماك وفي ركن آخر حديقة حيوانات بها (ذئب، ثعلب، ضرابان... وبعض الزواحف).

عناية فائقة بالتلاميذ والأولياء والمدرسة:

وحين انتقل سيدي "المختار" إلى "المكتب" (مدرسة البريد حاليا بسليانة) وتولى إدارتها أصبحت مركزا "لرفع الأمية" ما يسمى الآن "بتعليم الكبار" تقام فيها الدروس ليلا، كما كان يكثر سي "المختار" من الاجتماعات بأولياء التلاميذ.

العناية متواصلة بالمدرسة وتحميل حديقته، وفي جانب من الساحة تمت تهيئة ملعب لكرة السلة.

مشجّع للمواهب:

- خصّص فضاء لبعض التلاميذ المولعين بالرسم ووفّر لهم الأدوات اللازمة.

- يشجّع على القيام بالأنشطة الثقافية والرياضية وإجراء المقابلات بين تلامذة المدرستين "النصر" و "المكتب".

احترام الأولياء والشفقة على الأبناء:

ذات يوم جاء ولي رفقة ابنه وتقدّم لسيدي "المختار" بشكوى فقبلها، ولكن الأب أقسم بأن يسلّط هو بنفسه العقاب على ابنه



فاستجاب سي "المختار" مادام الرجل قد أقسم، ولكن لم يتركه يواصل العقاب وتدخّل، وقال : "ها قد نفّذت قسمك". وقد حكى لي صديقي هذا عن السبب في أحد لقاءاتنا بعد إحالتنا على شرف المهنة

(التقاعد) ونحن نَحْتَرِّ ذكريات جميلة حلت لكنها لم تمت، فمواقف كثيرة من الأولياء والمربين لازالت عالقة في أذهاننا إلى هذا الحين. قال لي صديقي الأستاذ رداً عن استفساري عن السبب الذي أوصله إلى ذلك العقاب.

"لقد أمرني والدي رحمه الله بالإتيان بالحشيش إلى الأرناب التي كنا نملكها في حديقة المنزل ولكني سهوت عن ذلك بسبب انشغالي في اللعب، فكان ما كان".

تفهم كبير لبيداغوجية التعليم:

كنا في السنة السادسة وكان معلّم الفرنسية صعباً للغاية وكان يكثر من حصص المراجعة "Etudes" فلا نجد وقتاً للراحة، وللأمانة "الخصص مجانية"، فأرهبنا، زيادة على شدته معنا وتحميلنا مسؤولية الامتحان "السيزيام"، وأمام هذه الضغوطات، شعرنا أننا سيدي "المختار" وذات يوم جمع القسمين "6 أ و 6 ب" في مطعم المدرسة لأن هذه القاعة فسيحة الأرجاء تسعنا وهناك طرح علينا أسئلة عديدة، أذكر منها، متى تشعرون بالإقبال عن الدراسة ؟ ومتى تحسون بالتعب ؟ ... ثم جمع الأوراق المتضمنة للإجابة عن الأسئلة. وما شعرنا به بعد ذلك اللقاء أن الضغط خفّ علينا وكان سيدي "المختار" من حين لآخر يقول لنا : إن "السيزيام" ليس غولاً لا نخافوا، العبوا، تحركوا، امرحوا، وكان يتوجه لنا بهذا الكلام في الساحة أثناء أوقات الراحة، يريد بذلك إخراجنا من كابوس "السيزيام".

المرتبى النصوح:

ذات مرة أمرني بشراء علبة سحائر وسلمني نقودا، أخذتها وانطلقت مسرعا، وبعد أن تركني أقطع بعض الخطوات ناداني وقال لي: ماذا ستشتري؟ قلت: "علبة سحائر". قال: "أي نوع؟" سكت - لأنني لا أعرف أنواع السحائر والحمد لله إلى الآن لم أدغن إطلاقا - ولم يخرجني من صمتي إلا بعد أن ذكر لي نوع علبة السحائر التي كان يريدتها. قلت: "حاضر يا سيدي". عندها نصحتني بعدم التسرع وبالتربث والتركيز وأخذ المعلومة الصحيحة.

ذكره خالدة:

عند مباشرتي للتعليم بمدينة تاجروين بمدرسة البنات فتح الجبل تعرفت على زميل هو علي غايه من الأدب والشعر الموهب يدعى "علي بن صالح الجبابلي" كان يدرس بمدرسة الذكور شارع بورقية. فتكونت بيننا علاقة جد طيبة وكنا نتحاذب الأحاديث عن التربية والتعليم والمربين الذين بقو في البال، وحين حدثته عن سيدي "محمد المختار بن نصر" أصبل تاجروين قال لي: "ذلك الرجل أحببته دون أن أراه فهو المنسبب في إدخالني للمدرسة ولولاه لكنت من أعداد الأميين". فحاز الله سيدنا "المختار" الذي يحق لنا أن نقول فيه ما ينطبق عليه إلى حد كبير.

"وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى".

في الطريق إلى وجهي

شعر: ماجد الشرع (العراق)

أشرق...

المدى... مياهي وشموسي

أحاذي الصباح، ومساء الأسماء

لم أكن سوى نهاية بين عينيها: ابتداءات من الضوء

كلميني يا مياه الأساطير...

اتبعيني أيتها الصواعق...

الاحتراقات، الصحاري، الجن، المنافي...

سوف أستبدل الأرض بالأجنة

وأدل الينابيع إلى صخرة في عيوني

قادم.. على لغة من العشب

قلت: يا أرض اشربي حزنك

داخل في نسيجك

أقيم الخصومة بين الماء ورحمه

وجه البطل خيمة

والليل، والجوع، والبرد، والصرخة الموحشة
أركانها القصية...

لم أطلع غفوة النحاس...

مت،

تبعثرت،

تلاشيت،

تكوكت،

تشجرت،

تصاعدت مني الفاتحة والتحية...

يا نفس كوني أو لا تكوني،

كوني نهر الرؤيا،

ولا تكوني قاع الهزيمة...

علقت على أبواب المرايا...

سجدت الرعود، المراكب، الورد، الأسماء الممهورة بالتشطي

سجدت البحار، القطب المدوّن في العيون، المدارات، الخيول

الراكضة.. إلى الفجر

غابة أصوات تلتفّ على عنق المدى...

المسير دم

الاسم دم،.. اللون دم

المطول من الأماصي دم

دم... دم... دم يتهجن الرّمل

افتح يا جنون!

يا جنون افتح حنان ليلتنا الساقطة من تفاح الترانيم

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أخرجوا... أخرجوا

إلى هواء عار من السكاكين والشحوب

إغسلوا أهذاب القمر من الصدأ والتحدب

اعزفوا النكهة الخالصة

وشاحا يلم شظايا

الانكسارات...

في الكهف أقرأ وجهي... ضدي انتشرت... العالم يتناسل في
مكان ما

أبعدوا قطع الصحراء عن دمي!

أهدأ على نهد ترنيمي

تركت الشمس، وقلت لها: اكذبي أيتها الخنزيرة الكبيرة!!

سامسرح أنقاضي

وأفصح ما ترطق به الرياح العالية.

أنحو كسل المدينة بدبوسي أغرزه في آستها الضخمة

آه... من يخلص المدينة من الهواء الأعرج؟!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومن يخلصني

من الشحوب المكرر

في لسان الفاتحين؟!...

وجهي أجنحة تصحو بعيدا عن السماء الكاسرة

سواء الأباطرة الوديعين،

تركت الشمس، وقلت لها: اكذبي أيتها الخنزيرة الكبيرة!

آه! يا لهذه الشمس المعسوسة كالبكارات...

يا لهذه الشمس القادمة من جروحنا المفتوحة كالمناديل

يا لهذه الشمس القادمة من أرواحنا المنشورة كتابا بلا نهاية

يا لهذه الشمس القادمة من الجنون المقدس

يا لهذه الشمس القادمة من العيون المغسولة بالسفر والحقيقة

يا لهذه الشمس القادمة من شجرة تنفجر وراء الأقاصي

يا لهذه الشمس القادمة من حرائق تنهض في الجبين

يا لهذه الشمس القادمة من سماوات تكسر في الهدب

يا لهذه الشمس القادمة من ترانيم تغزو قلعة الشك

يا لهذه الشمس القادمة من افتراسلة الماء للماء

يا لهذه الشمس القادمة من بلاد ألفنا قسوقها, ولم تألف عشية

أصواتنا!!

يا أبانا الذي غسل الحب بتجاويد الحكمة!..

هذه الشمعة تسبح مضاعة بخرز الأدعية

إذ تمنح القداس احتفالاً نينا

بميتاتك التي يتقن عزف تكرارها
هذا المهرج المعزول من القاف إلى العين
آل بوربون يتبارون بالفروج،
و يتدثرون بالمجاز،
بالمجاز يعلمون صياهم التحولات الكبيرة،
الانشطارات المتأخرة للطاقة
الذرية...
ويعلمونهم التشكل بطعم المخبوز من أصل البراءة!!
ARCHIVE
عدني أيها الضفدع... بصباح أكبر من العطل المزمع
في حدود النساء المشيعات بالسرطانات المقدسة
المضيئة مثل الدم المتناهي مع الصحراء...
شدوني إلى جرحي رتل آية الجرح: إن الجراح أغاني الارتحال...
قرأت من الصبح إلى الغاشية، وغشيت...
أيها السادة ... أيها السادة!!
لكم هذا الرأس المخلوع..

ولكم بكثير يا الأفعنة،

(غدا وغدا كل شيء)

قال صديقي قلت: هل يلد الغد/ شجرة الأمس...!؟

إذن، لكم كل شيء..

ولي وجهي

فدلوني عليه!..

أحد أجدادي المنقرضين في الجنون

كان يحلم بأغنية تطل على الربيع

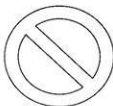
لكنه أصاب الوشاية بالربيع

حين قال: للأمام... للأمام... للأمام

ديمقراطية وسلام

ولا أحد يزعجني حين أنام

سلام.. سلام.. سلام



سلوان

شعر: آمال سفطة

يا شجرتي

وأنت زهراء كمولود جديد

فيك ما في من أنين الجبين

يا واسعة الصدر

صمّدي حنين روحك المضطربة

لا تبكي،

ستتقذين من الشمس النوى

اصدقيني ستورقين كنه الأوراق

لماذا يا ترى الانخراط في البكاء

كفى ما فيك من صرخة الغريق

اصبري

يا صبايقي

حرقة الألفة

ستذكي له شرانق الذكرى

بسر الغفوة سيسري

مهملًا أغلال الوفاء

بعد الحفر في رأسه كما في وجداني

آملا تقاسم الشذى

لفخار طنجرتي

وحده وحده

بالغ الريح

في رنين زي الصّوّضاء

بضحكته الحمراء

برائحته الصّفراء

حاييا سيأتي

حينها

يا ملاكي الحافظ

ARCHIVE

سواء بسواء

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

داوها بالتي كانت هي الدّاء

لن يجد بك بعد بك شجرتي

زغرد يا قلب

على أيّ طبل تركي

حينها

هو الذي سيكي،

هو الذي...

في المدينة.. بانتظار المطر

شعر: مازن المعموري

كان على المطر أن يختصر قيلولته السنوية

فقد مدَّ لسانه ليلسع القمر

ولأنَّ الجاف أكل الندى

هابطاً من السماء ضيفاً على النهر

بقي وحده فوق الجسر القديم

الماء صار جسراً

يعبر فوق الناس ليترنل أحلاماً مائية

لم يعد الصغار يشربون من المعلم

فقد جفَّ هو الآخر

وصار على الشوارع واللصوص

أن تحذق جيداً قبل صبِّ الماء

برؤوس مثقوبة

مثلما كان جاهزا لاستقبال الكوارث
وبناء سفينة ليحمل من كل زوجين اثنين
كان على المدينة أن تغطيه بالتراب
وتمنح رأسه لعنة البقاء في المنفى
يتدلّى مع الغيوم

ويكسر النهار قوس قزح
بعد كل زخة فوق أشلاء المدينة

لنصبح قزحين كالطاووس

وحكماء كالبروم



http://Archivebeta.Sakhril.com

الغابة خارج المدينة صلعاء

المدينة داخل النصّ

النصّ لسان الشاعر

الشاعر لعبة اللغة

اللغة... الزمان

إلى أيّ الدروب أشقّ وجهي لأجد الملائكة

يحضرون موت المطر
ودفن الألعاب النارية في الجيوب
يا دروب
هزّي أليك بمجذع النخلة
ليهطل المطر

منذ متى وهذا النهر يبطى في موسيقاه؟
وتقلّد الجسور امتدادا المياه

يا صباح
خرجت من عيني ظلامي
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakinit.com>

هجرت النوافذ
منحت الفرات أنفاس المهجير
يا وطن السواد
مازلت تفرش للقنابل
قامات التخيل
ليهطل المطر كعادته

فوق أرواحنا ميتا

مع كل صيف تنام المدينة فوق الشط

وتمنح القرايين

أذكر أمي حين نذرتني لك

ليعشب النهار

فوجدت نفسي معلقا على نصب الحرية

ومن يدي ينضح الماء

ARCHIVE***

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحروب التي أشرقت فوق أحلامنا

تركت وسادتي لرجل آخر

الزعيق الذي أسمعه

لم يعد للصغار فقط

فقد مارسه الكبار مذ صرت بوقا

الأبواب تعرف حجم الزائر جيدا
لذلك اتسعت كلما ازداد رشق القنابل
حتى لم يعد البيت سوى قوس قزح
يحيط العالم

ما من سبب للقلق....!
نعم ذلك ما سمعته



وأنا أغلق باب التأبوت

توت....
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

توت.....

منذ سنوات وعرجون النخلة
يرضعنا حكايات السند باد فصار يتسلقها
كل يوم ليقطع سعة.....
حتى صارت النخلة وتدا لربط
الحمير ونعيق الغربان

بلغاء

شعر: سالم المساهلي

عشرة آلاف مرت
من عمر القول...
والسيف أصدق إنباء
من كل كتاب.

عشرة آلاف مرت

من عمر القول

وأبو ذر بالريذة

يقتات الصبر

ويجتز كلام الوعظ

ومسبحة البلغاء

يا للوهم...

حين يصير الشعر أداة تمن ورياء

وأساليب بلاغيه...

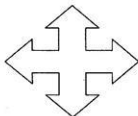
وقواعد للإنشاء...

ويعصر خيالا ورديا
أو ظلا خلف الأمراء...

يا للحسرة...
حين نقول الشعر
سواكا وبخورا...
ونحيط الكلمة دهنا
ونخضبها بالحناء...
ماذا بعد الصبر،

ويعد البوح،
ويعد عذاب الدنيا
<http://Archive.eld.sahit.com>

وعذاب القبر..؟!
حين يجيء ملاك الموت...
تتقر بطون الناس وتسهل...
إلا الفقراء!



العنكبوت الأعور

شعر: ليث فائز الأيوبي

يمسح العنكبوت.. أظافره بالعبار

ويضحك.. يا للخواء

أيحسب ضحكته انتصاراً؟!

... يقفز العنكبوت

من السقف.. مثل جنود المظلات.. بالرشوت

ليطبق أنيابه فوق عنق الفراشة

في منتهى البطش والجبروت

... يمص دموع فريسته.. ضاحكاً

بينما تستميت لكي تتخلص من بطشه

وهي تصرخ.. لا.. لن أموت!

أيها العالم المتغطرس.. قف صامتا

وتفرج علينا.. وتفرج على جرحنا العربي

وقل لي علام السكوت؟

.. أتخفي ذنوبك عورقاً بالمناديل

قل لي أتخفي ذنوبك أوراق توت؟!

قصائد قصيرة

شعر: مبروك الغرابي

- صورة:

...لي...

أرض قديمة....

وجهي يتأخر....

كلما أتى الماء فجأة...

هل أصور لك...

حزني الياس...؟
<http://Archivebeta.Sa>

- رصد:

ظلّ... فوق الشمس...

فوضى...

خطوات تائهة...

هل للضوء... غايات قديمة...؟

زخات شعر

شعر: برهان البرزنجي

سأدفن عاريا

لأني أهديت ثوبي

للوطن..!



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في ريبة من أمره

أقمنا صلاة الاستسقاء

فأنزل الله لواء من مطر

وفرقه مدرعة من ثلوج لم تروها

وغطاء جويًا من أسراب غيوم

فاستسلمت بلقيس ثانية

دون قتال...!

لن نموت..

حتى ولو زرعوا

بين كل تلة وتلة مقبرة

وبين كل واد وواد شلال دموع

وعلى عتبة كل دار مقضلة

فإن أمهاتنا يلدن توائم

لإعادة التنظيم...!

أجذك عليّ دوما.. ثوبي

فدونك.. أنا

جسم بلا كفن...!

النار.. النار

إياكم والركوب في مركبها

إنها تعمل في خطّ المقبرة..!



إبرة أنا....

من خرمها.. خيطوا ثوبي على جسدي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كي لا أكبر،

ومنها أوجوا جمالا على قلبي

ليحولوا مدينتها أنقاضا

لهذا كتبت للمصانع

أن يصنعوا أبراً دون خرم..!!

إلى أين تمضي

شعر: محبوب العياري

أيا قوم هل مات فينا السّؤال

وهل نحن متنا مع الأسئلة

نروح ونغدو ولا نحن ندري

إلى أين تمضي بنا الأشرعة

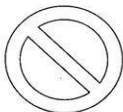
فهل قد خلقنا لنسري بصمت

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إلى أن نؤول إلى المقبرة

وأم أن نعيش الحياة سكارى

برغد ورعد من الأسلحة



الظِّلُ يَفْكُ عِقَالَهُ

قصة: محمد جوعو

كان يمشي كبقية المصطافين على كورنيش شاطئ حمام الأنف...

لكنه خلافا لبقية المصطافين، كان يمشي مرحا...

كان يمشي مُصْعَرًا خده للناس، يُبَارِي ظِلَّ رأسه، مَزْهُوًا...

كان يمشي مُخْتَلًا، متبخترا مثل طاووس، يرمق من عليائه ريشه الملون..



كان تَبَاهًا مُتَكَبِّرًا...

ARCHIVE

وكان جسمي الشفاف الدّاكن ينساب وراءه قارة، وطورا يجانبه

أو يتخذ وضعا أفقيًا أمامه...

كان جسمي لَبَنًا طَيِّعًا، يتكوّر مرّة ثمّ ينحني، ومرّة يتكسر على ما يعترضه من أجسام جامدة أو متحركة.. يتمدّد حيناً وأحياناً ينقبض ويتقلّص... وكنتُ أرفع يدي نحو ذقني، كلّما رفع يده إلى ذقنه.. أدير رأسي يَمَنَةً ويسرة، كلّما أدار رأسه في كلا الاتجاهين.. أرفع قدمي وأمسح ظِلَّ خذائي على ظِلَّ باطن ساقِي، كلّما رفع قدمه

ومسح وجهه حذائه على باطن رجله ليزداد بريقاً على بريقه..
وأحياناً كان يَنْتَعِلُنِي فأحتفي ولا يقلقه احتفائي، لأنه يعلم أنه لا
مفرّ لي منه... فأنا طيفه وانعكاس شخصه...

أنا ظلّه، أعيش منذ ولادتي وولادته في كنفه.. أعمل تحت إمرته..
في تلك العشيّة من عشايا الصّيف، كنتُ كعادتي في مثل
هذا الوقت أنساب وراءه وكان لأوّل مرّة في حياته يَمُخِرُ عُبَابَ
الرّحمة.. كان يشقّ الخلق بيديه شقاً... يفرّق بِمِرْفَقِهِ الجمع الغفير،
يشتّتُ ألفتهم.. لا تسترعي انتباهه ضحكات المصطافين ولا يروقه
عبيهم... لا يهتزّ قلبه ولا يرقّ لمس عشاق الصّيف الجالسين على
المقاعد الحجرية، مثلاًصقلين في السّاحياء، يُنْصِتُونَ بشغفٍ إلى بوح
أمواج البحر وهمسها المتقطّع، يتطلّعون إلى الأفق البعيد، ينتظرون
بفارغ الصّبر غروب الشّمس وحلول ليل الصّباة والتحلي...

كان كَمَنُ به صمم.. لا يقرّعُ طبله أذنيه صياح الأطفال
وبكاؤهم وهم يتشبّهون بتلابيب أمهاتهم إمّا لإرغامهنّ على الوقوف
أمام بائع المثلّجات أو لابنياع طيّارة ورقٍ طيّبة الألوان، يُطلقونها
في الفضاء الشّاسع الرّحّب.. يسافرون على متنها إلى السّماوات

السَّبع.. وأُمهاتهم يقبضن على أيديهم الصَّغيرة خوفاً من ضياعهم
وسط الزَّحام...

كان يُشيح بوجهه إلى كلِّ من يُحابه أو يعترض سبيله..
أنفه في السَّماء، يتقدَّم بأبْهة...

فقد تعود منذ الصِّبَا أن يكون أنفه دائماً في السَّماء..

تعود أن يجعل جسمه الممتلئ يتخذ وضعياتٍ توحى بالتَّميُّز
والأُبْهة..

تعود أن يُشيح بوجهه إلى كلِّ من حوله، لاعتقاده أن كلَّ من لا
يتنمي لطائفته رُغَاءٌ لا يؤبه لهم، لا يُلقى إليهم بالاً، لا يجدر أن
يعيرهم أدنى اهتمام...

ولَوْ لا أن بعض المقرَّين إليه، حدَّثوه بإطناجٍ عن إحدى
مقاهي الكورنيش يلتقي فيها الأعيانُ وكبار القوم وأشرافهم لما
تواضع وترك سيارته السوداء الفاخرة في الموقف البلديّ ومشى في
الأتون.. على هذا الكورنيش.. وسط حِصَمٍ هذا الخليط من البشر.

كانت على وجهه سيماء تفرُّز وتبرِّم وتأنف.. كان من حين
لآخر يحسح بمنديل حريريٍّ مطرَّز عرقاً يتفصّد من مسامٍ جبينه لم

يعهده من قبل.. وكيف يرشح ويتر من جسده العرق من كان
مكتبه الفاخر الأنيق مجهزاً بمكيف هواء، وكذلك سيارته، ومختلف
أجنحة فيلته الفخمة الشاسعة وأيضاً رحاب النادي الذي يرتاده
عادة؟...

كان ينفض المكان من تحت نظارته ذات الإطار المذهب،
يُمْدُ عنقه مدأً، يشرئب كزرافة، يبحث عن المقهى الذي حدثوه
عنه... ومن حين لآخر كان ينفض عن جبهته القمراً هباءً ينبث من
تحت أقدام هؤلاء الذين تعودوا التجمع في مثل هذا الوقت من
عشايا الصيف للترفيه عن النفس ولتجرع هبات نسيم رائق تأتي بها
الأمواج من أعماق البحر.

<http://Archivebeta.Sa>

وكنت وراءه متعثر الخطى، مهموماً، أقتفيه مكرها.. قدماي
مكبّلتان تكبيلا.. مَعْقُولَتَانِ إلى حذائه المصنوع من أرقى أنواع
الجلد.. هذا الحذاء الذي كلما اتلعه صاحبه وتقدّم خطوة أو تأخر
وناداني.. يجِدُنِي دائماً طوع بنانه، أقول بلا صوت: لَبِّكَ
سَيِّدِي!... فيجرني جرأً، يجذبني إليه جذباً.. وكثيراً ما يستعملني

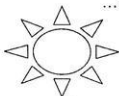
طُعْمًا كُلَّمَا التَّفَّ حَوْلَهُ الْمُتَمَلِّقُونَ الطَّامِعُونَ فِي كَسْبِ وَدَّهِ، فَيَنْشُرُنِي
نَشْرًا وَيُلْقِي بِي عَلَيْهِمْ لِيَزِدَادُوا تَمَلُّقًا وَيَزِدَادَ هُوَ عُجْبًا وَزَهْوًا...

صاحب هذا الخداء الذي يَشُدُّنِي إِلَيْهِ بِجَلٍّ مِنْ مَسَدٍّ، لَا
يَسْمَحُ لِي بِاخْتِيَارِ نَقْطَةِ انْطِلَاقِي.. يَجْرِئُنِي دَائِمًا أَنْ أَنْطَلِقَ مِنْ أَمْخَصِ
قَدَمِيهِ وَأَسْفَلَ نَعْلِهِ، فَيَنْعَكِسُ طَيْفِي عَلَى كُلِّ مَا يَعْتَرِضُ سَبِيلِي..
يَنْتَشِي، فَامِيلُ وَأُنْحَنِي.. أُنْكَسِرُ مَرْغَمًا عَلَى أَجْسَادِ الْمُصْطَافِينَ
الرَّائِحِينَ وَالْغَادِينَ.. أْتَمَدَّدُ حِينًا وَحِينًا أَتَقَلَّصُ.. يَنْطَاوِلُ كُلَّمَا
اسْتَظَلْتُ وَيَقْبِي مَنْطَاوِلًا حَتَّى وَإِنْ انْقَبَضَ حَجْمِي وَتَقَلَّصْتُ...
أَسْبِقُهُ حِينًا وَحِينًا يَسْبِقُنِي.. وَفِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ أَجَانِبُهُ فَنَصْبَحُ
مُتَعَامِدِينَ، لَكِنَّهُ يَبْقَى مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ دَائِمًا وَيَبْقَى وَضْعَ جَسْمِي
أَفْقِيًا دَائِمًا.. أَبْقَى خِيَالَ ضَلَالَةٍ، مُنْبَطِحًا عَلَى الْأَرْضِ.. تَدُوسُنِي
الْأَقْدَامُ فَلَا أَتَوَجَّعُ وَلَا أَشْتَكِي.. لَا أَحْتِجُ.. وَلَا أَتُور!...

هَكَذَا كَانَ أَبِي ظِلًّا لَوَالِدِهِ وَهَكَذَا كَانَ جَدِّي طَوْعَ بَنَانِ جَدِّهِ
وَهَكَذَا أَصْبَحْتُ مِنْذُ وُلِدَ وَمَعَهُ وَلِدْتُ!...

لَكُنِّي وَالْحَقُّ يُقَالُ سَمِعْتُ دَوْرِي هَذَا الَّذِي لَبِسْتَهُ عَلَى مَا فِيهِ وَلَمْ

أَسْتَشِرُّ، فلعبته مُكرِّهاً على خشبة مسرح الحياة منذ أن وُجِدْتُ..
 سَمِعْتُ اقتفاء خُطَى هذا التَّيَّاه المتكبر... وَأَعِدُّكُمْ.. أَعِدُّكُمْ يا
 إِخْوَتِي، أَنِّي سَأَتَحَيَّنُ من الآن فصاعداً أَوَّلَ فرصة تُتاح لي لأطلب
 منه بكل لطف بادئ الأمر فَكْ عِقَالِي.. وإذا امتنع فسأفجِّر في خدّه
 المُصْعَرِ سخطي وأُعلن علناً عصباني.. ولا يهمني إِنْ قُلْتُمْ عَنِّي يوماً:
 أَبَقَ.. مُنْبِتٌ!... يكفيني أَنْ عِقَالِي سَيْفُكَ بِإِرادَةِ مَنِّي وَأَنِّي سَأَتَنقَلُ
 بعد ذلك حيث شئتُ، وأختار بنفسي نقطة انطلاقي والجسم الَّذي
 سأصبح ظِلَّهُ.. فَأَنَا ظِلٌّ وهذا مفروغ منه.. لكنَّ حَرِيَّةَ اختيار
 الجسم الَّذي سأسكنه تجعلني لا أشبهكم ولا أشبه أَي ظِلٍّ آخر..
 جَعَلَنِي أَكُونُ إِنْ شِئْتُ ظِلَّ فَتلك الطَّيَّارَةُ الورَقِيَّةُ في يد ذلك الطِّفْلِ،
 أو ظِلَّ نَورِسٍ من نوارس البحر ينساب ويحلّق في الفضاء الرَّحْبِ..
 فَظِلَّ التَّوَارِسِ يا إِخْوَتِي طليقٌ مثلها، منفصل عنها أثناء التَّحَلِيقِ
 والطَّيْران.. لا يُكَبِّلُه شيء... ولمَّ لا أَكُونُ إِنْ شِئْتُ، ظِلَّ شجرة
 وريقة من أشجار جبل "بوقرنين" يَتَغَيَّوْها بخور مريم الفارسي
 وإكليل الجبال والزَّعتر!...



في المستشفى

قصة: عبد القادر المعاج

استيقظ سالم من نوم طويل مزعج، وأحس وكأنه انتشل من بئر عميقة شاهد فيها أهوالا ومخاطر عديدة.. تنفس الصعداء وهو يرتعش من أثر الخوف الذي انتابه.. شعر بألم يكاد يشق رأسه شقا.. حاول أن يرفع يده ليتعرف على موضع الألم فإذا يدها مكبلتان لا يستطيع أن يحرهما.. أجال بصره بالغرفة وهو لا يكاد يرى شيئا مما حوله كأنما كان في ظلام دامس ثم خرج فجأة إلى نور ساطع.. وبينما كان يحاول استرداد بصره شيئا فشيئا إذا بامرأة ممرضة ترتدي ثيابا بيضاء ناصعة تقف بجانبه.. لاشك أنها تقطعت إلى أنه بدأ يعود إلى سالف رشده فأسرعت نحوه لتمد إليه يد المساعدة..

بادرته بالحديث قالت:

- كيف أنت الآن؟ هل تريد شيئا يا ولدي؟

قال بصوت خافت: -..ولكني أشعر بألم شديد في رأسي.

قالت ملاطفة: -سوف تشفى عن قريب إن شاء الله..الطبيب شديد الاعتناء بك.

قال وعلامات التعب بادية على وجهه: - أرجوك أن تفكي وثاق يدي.

قالت وهي تحاول التخفيف عنه: - لا تشغل بالك.. سيأتي الطبيب بعد قليل.

قال مستعظفا: - أرجوك.. فكي وثاقي.

قالت: - سيأتي الطبيب بعد حين وهو الذي سيفعل ذلك.

أعاد سالم طلبه مرة ثالثة بإلحاح لكن الممرضة حاولت أن تقنعه بلطف أنها لا يمكنها أن تفعل ذلك إلا بإذن الطبيب. سكنت سالم لحظة ثم قال في صوت اليائس:

- لا بأس سأنتظره.. ما دام الأمر كذلك.

اتسمت الممرضة وبدت على وجهها علائم الارتياح لنجاحها في إقناعه بالانتظار وأعادت عليه سؤالها: - هل تريد شيئا؟

أجاب وفي صوته شيء من الحدة: - أريد أن أعرف من جاء بي إلى هنا المكان وماذا جرى بي حتى أكون في هذه الحالة؟

فهمت الممرضة أن سبب تلك الحدة يعود إلى ما ألم به من ألم فلم ترد أن تزيده ألما على ألمه، بل خاطبته بلهجة فيها شيء من العطف والرفقة، قالت:

- لا تخف يا ولدي.. أنت بالمستشفى وحالتك في تحسن مستمر.

قال: ولكن كيف جيء بي إلى هنا؟

- أجابت مهدوء لا أدري.. لا فائدة من إتعب نفسك بهذه الأسئلة فأنت في حاجة إلى مزيد الراحة.

قال في لهجة تنم عن غضب: - سبحان الله.. أرجوك أن تحيي!

- كل ما أعرف هو أنه حي، بك إلى هذه الغرفة منذ يومين.

قال والعيرة تخفق صوته: وهذه العصابة ما حكايتها؟

قالت: يقولون إنك كنت نازلا بمدرج فندحرجت فسقطت على رأسك.

نظر سالم إلى المرأة ممعنا فيها النظر وكأنه استغرب ما سمع وأطرق يفكر برهة ثم نطق بعبارات لا تكاد تفهم:

- فهمت.. الآن تذكرت.. العرقية ثم أجهش بالبكاء. أخذت الممرضة

منديلا أبيض ومسحت بها عيني المسكين.. قالت له في لهجة متأثرة: -

لا تشغل بالك.. أنت في حاجة إلى الراحة أرجوك أن لا تعب نفسك

فهم سالم أن الممرضة تم بالانصراف فأشار إليها بعينه كي لا تفعل

وقال في صوت لا يكاد يسمع: - متى.. سأغادر.. المستشفى..؟

أجابته الممرضة: - عندما تشفى تماما. <http://Archivebd.com>

قال: - لكن متى؟ متى بالضبط؟ يجب أن أزورها...

قالت: تزور من؟

وأحست أن سؤالها أدخل عليه بعض الاضطراب فقالت ملاطفة:

- هدى من روعك، الطبيب وحده يعرف ذلك.

سمعت الممرضة أصواتا أخرى تنادى بها فانصرفت عنه دون الالتفات إليه

حتى لا تضطرها إشارات عينيه إلى المكوث بجانبه أكثر مما فعلت.

قضى سالم بالمستشفى عدة أيام كانت حالته الصحية أثناءها في تحسن مستمر ولم يطل وثاق يديه كثيرا إذ أمر الطبيب فعلا بفكه لما أيقن أن سالما استرجع رشده ولم يعد هناك أي خطر على صحته.

شاهد سالم في تلك الأيام ما شاهد وسمع ما سمع.. شاهد أصنافا من المرضى والمصابين مما لا يمكن وصفه وما لا يستطيع أن يتحملة قلب بشر.. أمام فضاة تلك المآسي نسي سالم العصابة المحيطة برأسه وخف عنه ألمه لما رأى قسوة ما يحسه الآخرون، كان تأثير تلك المشاهد شديدا عليه وأبت عليه نفسه أن يقف موقف المتفرج رغم أن حالته الصحية لم تكن تسمح له بتحمل المزيد من التعب والمشقة. كان يحدث هذا ويلطف ذلك ويسأل آخر عن سبب توجعه ويأتي بكأس ماء لهذا المريض ويساعد ذلك على الجلوس ويعين آخر على الوقوف.. كانت عبارته كلها لطف وحركاته رقة.. أنس إليه جميع من كان في الغرفة وأحبوه وبادلوه جميل الإحساس.. عندما يأتي المساء كان سالم يستلقي على فراشه للراحة والنوم.. إلا أن رفاقه في الغرفة وحتى في الغرف الأخرى المجاورة كانوا يلتفون حوله هذا يأتي بكرسي ليجلس عليه والآخر يجلس على السرير أو يتكى على حافته.. كلهم يتوسلون لديه لكي يقص لهم حكاية تروح عن أنفسهم وتخفف عنها الألم. وكيف له أن يرفض طلبهم.. كان يقص لهم مرة حكاية من حكايات "البؤساء" وأخرى يروي لهم حكاية "المعذبون في الأرض" الخ... كانوا ينصتون إليه باهتمام إلى أن يشعروا أن النوم أخذ يغالبهم ويغالبه.. فيقول لهم

بصوت رقيق هادئ: غدا إن شاء الله نواصل بقية الحكاية فبنصرف
الجمع مهدوء وسكينة قائلين له الواحد تلو الآخر: تصبح على خير يا
سالم.

يقرأ سالم آنذاك ما تيسر من آيات الذكر الحكيم كعادته كل مساء ثم
يسلم نفسه للنعاس.

وبينما كان يقص ذات مساء إحدى حكاياته على رفاقه قدم نحوه رجل
لم يره من قبل وعلائم الشر تتطاير من عينيه. قال الرجل دون أن
يسلم: كفى تشويشا يا هذا! أنسيت أنك في مستشفى وأن المقيمين به
في حاجة إلى الراحة لا إلى الحكايات والتخريف؟ وإن حضرة المدير
يأمرك أن تكف عن صنيعة هذا. **نظر سالم إلى الرجل في هدوء ولم**
ينبس ببنت شفة متعجبا من سوء سلوكه وشراسة أخلاقه والتفت إلى
أصحابه والحسرة بادية على وجهه قائلا لهم: تصبحون على خير يا
رفاقي، انفض الجمع من حوله مهدوء كامل دون أن يبدي أي واحد
منهم ملاحظة أو احتجاجا وكأنهم فهموا أن صديقهم لا يريد ذلك.

في صباح اليوم الموالي أقبل الطبيب على سالم.. نزع العصابة من رأسه
ونظر إلى الجرح بشيء من الإمعان ثم قال: يمكنك أن تبارح المستشفى
هذا اليوم. سأل سالم الطبيب باحترام ألم يبق هناك أي خطر؟.. أجاب
الطبيب: قلت يمكنك أن تغادر المستشفى وهذا يعني أنك تماثلت
للشفاء. قال الطبيب بعض الكلمات للممرضة لم يفهم منها سالم شيئا
ثم أنصرف يعود بقية المرضى.

المناضل عبد القادر زروق في ذمة الله

بقلم: عبد القادر الهاني

بقلوب مكلومة ونفوس مفجوعة وعيون دامعة حزينة ها قد حضر الأهل والأقارب، وجاء الخلان والأصدقاء وقدم المناضلون وأولوا الأمر فينا لتوديعك الوداع الأخير باسمي عبد القادر داعين العلي القدير أن يتغمّدك الله برحمته الواسعة ويترك منازل الأبرار من عباده المخلصين، وهم صفوة الخلق من الأنبياء والصادقين والشهداء والمصلحين والعلماء العاملين الأبرار.

لقد كنت باي عبد القادر بن زروق وأنت من علمنا وما عرفنا: التلميذ المجتهد والطالب النحيب والموظف النظري والمربي المخلص وأخيرا أنت المرشد الناصح الأمين وفي كل هذه المراحل أنت الوطني الغيور والمناضل الشريف والدستوري المقدم.

كنت التلميذ المجتهد في كتاب زاوية جدك الولي الصالح سيدي حمادة وفي مدرسة ساحة الريد بسليانة وفي مدرسة نهج الكثر في الحاضرة وفي مدرسة نهج المحطة قرب باب عليوة بالحاضرة كذلك. تلك المدرسة التي شهدت خطواته الأولى على نهج الوطنية الصادقة والنضال الحق. فقد رويت لي: لقد كان لسكني بمدرسة القبة مع طلبة من أقربائي يدرسون بالجامع الأعظم كانت أحاديثهم كلها

في تلك الأيام في سنة 1933 تخوض في مسألة التحنيس وقيامهم بأحزاب عن الدروس مما ملأ نفسك حقدا على المستعمر ودفعك إلى التحرك داخل فصلك بالمدرسة في اتجاه القيام بمظاهرة توجهتم بها إلى إدارة التعليم العمومي وقدمتم احتجاجكم للمسؤول عن إدارة التعليم الابتدائي.

- وكنت الطالب النقيب:

وفي سنة 1934 وكنت تدرس بجامع الزيتونة شاركت في مؤتمر البحث بقصر هلال وعلى أثره بادرت بتكوين شعبة سيدي حمادة فكانت الشعبة الثانية في الإيالة وفي سنة 1936 عملت مع زمرة من زملائك التلامذة إلى الدعوة على إضراب عن الدوري احتجاجا على صدور أمن يقضي على باشرط معرفة اللسان الفرنسي للوظيفة العمومية وفي سنة 1938 ساهمت في أحداث 9 أبريل الشهيرة وذلك العقاب بالسجن.

- وكنت الموظف النظيف:

ففي سنة 1945 وقد أصبحت موظفا يعمل بمحكمة مكثرت لم يقلل ذلك من نشاطك الحزبي بل ازدادت نشاطا وإصرارا خاصة وقد وجدت نفسك في صحبة زميل قديم ورفيق درب حميم هو المرحوم أحمد بن يونس ديبش، ومن مكثرت مقر عملك وموطن زميلك قدتما العمل النضالي الحزبي كل في موطنه وبتنسيق كامل على امتداد فترة الكفاح.

لقد نال في سبيل ذلك كل مظاهر.... من : إبعاد وسجن وإيقاف وإرهاق مالي

أبعدت مرة أولى من سليانة إلى تونس، 1947 وأبعدت ثانية من سليانة إلى بنقردان 1952، وأبعدت ثالثا إلى جربة فرج البوق فتطاوين 1953، سجنّت مرة أولى سنة 1938 ومرة ثانية سنة 1952. أما الإيقافات (دون محاكمة) والخطايا الحالية حدث عن ذلك ولا حرج والتعبير.

أيها الراحل الكريم ما نجاح المظاهرات والإضرابات جذّت على امتداد فترة الكفاح الوطني في ربوع سليانة إلا مظهر ناصع لجهودك وتضحياتك من أجل القضية الوطنية تلك التي حققت تماسك الدستورين والتحام صفوفهم: وبرز ذلك جليا في فترة المعركة المسلحة التي عرفت فيها الجهة حضورا مكثفا للشوار الذين تجمعوا بحبل السرج ثم اختير أن تكون جبال برقو المنيعه مقرا لهم ومنطلقا لعملياتهم. إلا مرّ الذي أقصّ مضاجع المعمرين في الجهة وأفرعهم ونقص معيشتهم ونال من معنوياتهم، فكانت المعركة الخالدة معركة الربع الساعة الأخيرة في معركة التحرير والتي كانت بوابة النصر ومدخل الحرية وتحقيق الاستقلال لتونس الأنس تونس بلد الأمن التي أحبتها وتفانيت في خدمتها وعملت من أجلها بكل جدّ وبكل إخلاص وبكل فاعلية.

-و كنت المرّي المخلص في أداء رسالتك التربوية فانتفع بك تلاميذك

وبادلوك المحبة الخالصة والتقدير المتبادل.

-وكنت المرشد الناصح الأمين، إنه لا يمكن لأحد أن ينسى ولو لحظة واحدة وأنت قد بلغت من العمر عتيا، أنك كنت لا تفنأ تحرّض على العمل الجاد وإنجاح التنمية الشاملة والمتوازنة التي تنفع العباد والبلاد.

-أيها الراحل العزيز، آخر عطائكك كتاب لك صدر عن دار سنابل للنشر بسلامة صدر مؤخرًا وعنوانه: تاج الآلي على مآثر شمس المعالي، سيدنا محمد أكمل الرجال صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو خلاصة عمل جليل كنت قدمت فصوله لتلاميذك بمعهد الكاف وأنت تدرّسهم مادة الحضارة الإسلامية.

-أيها الفقيد الجليل، لقد كنت في كل مراحل حياتك منالاً للرجال الكمال، قياها بالواجب وتمسكاً بالحق وتشيئاً بالقيم، فأحبك المناضلون وثمن جهودك الزعماء وكافأك سيادة الرئيس زين العابدين بن علي: وشحّ صدرك بوسام الاستقلال فأعاد لك كامل الاعتبار الذي أنت أهل له وجدير به فله الشكر الجزيل.

-يا فقيدنا الغالي: ألا فليتقبلك الله القبول الحسن وليسكنك الفرد ومن الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والمصلحين إنه سميع مجيب.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر وإنا لله وإنا إليه راجعون

